FIFA WORLD CUP
RUSSIA 2018

رواية

تشيزَرِه بافيزِه

الصيف الجميل

ترجمها عن الإيطالية: گاصد محمد

المتوسط

تشيزَره باڤيزِه

الصيف الجميل

ترجمها عن الإيطالية: قاصد محمد

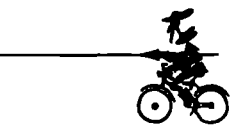

المتوسط

الصيف الجميل

حقوق النسخ والترجمة © ٢٠١٧ منشورات المتوسط - إيطاليا.

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. ويجوز استخدامه لأغراض تعليمية أو لإصدار كتب موجهة إلى ضعيفي البصر أو فاقديه شريطة إعلام الدار. تستثنى أيضاً الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

La bella estate *by* "Cesare Pavese"
Arabic translation copyright © 2017 by **Almutawassit Books.**

المؤلف: تشيزَره باڤيزه / المترجم: گاصد محمد/ عنوان الكتاب: الصيف الجميل
الطبعة الأولى: ٢٠١٧.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-99687-40-3

منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

تنويه من الناشر: هذه الرواية هي الأولى من ثلاثية روائية تحمل العنوان نفسه (ثلاثية الصيف الجميل: رواية الصيف الجميل ١٩٤٠، ورواية الشيطان على التلال ١٩٤٨، ورواية بين نساء وحيدات ١٩٤٩) كلّ منها تشكل رواية منفصلة، وكُتبت بشكل مستقل، دون نيّة لكتابة ثلاثية روائية، لكن ارتباطها من حيث الموضوعة التي تتناولها (الانتقال من المراهقة للنضج) جعلت من الناشر الأصلي وقتها، يقوم بجمعها ونشرها معاً على شكل ثلاثية، بالاتفاق مع الكاتب بالطبع. حصلت الثلاثية على جائزة "ستريغا"، أعرق وأرقى الجوائز الأدبية الإيطالية.

ستقوم المتوسط بترجمة الروايتين الأخريتين ونشرهما كاملة بالتتالي، إضافة للكثير من أعمال هذا الروائي العلامة في الأدب الإيطالي والعالمي.

-١-

كانت تلك أياماً مليئة بالحفلات، وما إن تغادر الفتيات بيوتهنّ، وتخرجنَ إلى الشارع حتّى يصبحن كالمجنونات. كان كل شيء جميلاً، على الأخصّ، في الأوقات المتأخرة من الليل حين عودتهنّ إلى البيوت، وقد أعياهنّ التعب، ويحدوهنّ الأمل بأن يقع حدث عظيم، كأن يشبّ حريق، أو يولد طفل، في بيت ما، أو علّ الناس يُهرعون - يوماً ما - إلى الشوارع فجأة، يسيرون ويسيرون حتّى المروج، وحتّى ما وراء التلال. كانوا يقولون للفتيات:

- أنتنّ شابّات بكامل صحتكنّ، وليس لديكنّ ما يشغل بالكنّ، هذا واضح.

ولكنْ؛ ها هي تينا، إحدى تلك الفتيات، وقد خرجت للتوّ عرجاء من المستشفى، وليس لديها في بيتها ما تأكله، رغم ذلك كله، فهي تضحك لأتفه الأسباب، وذات مساء، وقد تخلّفت عن الأخريات بفعل عرجها، وقفت، وجعلت تبكي؛ لأنها تعدّ أن النوم أمر تافه، وبأنه مضيعة لأوقات البهجة. وكان إذا ما أصاب جينيا ذات الشعور، فإنها تحرص ألا يبدو عليها ذلك، وتعمد إلى اصطحاب إحدى رفيقاتها حتّى البيت، تتحدّث وتتحدّث حتّى ينفد كل ما لديها.

على أن الليالي الأجمل - كما هو معلوم - هي ليالي السّبت؛ حيث

يذهبن إلى الرقص طوال الليل، وفي اليوم التالي، بوسعهنّ النوم قدر ما شئن. ولكن جينيا كانت تكتفي بالقليل، فكانت سعيدة باغتنام الاستراحة القصيرة خلال الطريق الذي تقطعه عند ذهابها إلى العمل. بينما الأخريات يقلن:

"إذا عدتُ متأخرة، فسأبقى مُجهدة طوال اليوم التالي، وسأسمع من أهلي ما يُسيئني".

لكن جينيا لا تعرف التعب، وأخوها الذي كان يعمل طوال الليل ويقضي النهار في النوم، كان يراها عند العشاء فقط . وفي ساعات الظهيرة عند عودتها من العمل، تعدّ جينيا الطعام، بينما يتقلّب أخوها سفيرينو في الفراش، ثمّ تأكل على مهل، وهي تنصت لضوضاء البيت. يمرّ الوقت، ببطء، كما في المنازل الخالية، فكان لديها ما يكفي من الوقت لغسل الأطباق، وتنظيف بعض أجزاء البيت، ثمّ الاستلقاء على الأريكة تحت الشبّاك؛ لتسترخي على تكتكات الساعة في الغرفة الأخرى. وفي بعض الأحيان، كانت تُغلق النوافذ تماماً، وتغوص في الظلام؛ لتشعر بوحدتها أكثر. على أنها كانت تعلم أن روزا ستمرّ بها الساعة الثالثة عصراً، تطرق الباب طرقاً خفيفاً؛ لكيلا يصحو سفيرينو، حتّى تجيبها جينيا. بعد ذلك، تخرجان سوياً، وتستقلان الترام. وفي الحقيقة، فإن كل ما يجمع جينيا بروزا هو الطريق الذي يقطعانه سوياً إلى العمل، ونجمة من الخرز في الشعر. وذات مرة، بينما كانتا تمرّان أمام واجهة زجاجية، قالت روزا:

"كم نحن متشابهتان، نبدو كأختَيْن".

علمت جينيا حينها أن تلك النجمة كانت شيئاً مألوفاً، وأدركت أن عليها وضع قبّعة على رأسها إذا ما أرادت ألّا تبدو كعاملة. ثمّ إن روزا لا

تزال خاضعة لأبوَيْها، ومَن يدري متى سيكون بوسعها شراء قبّعة! وحينما كانت تمرّ بها روزا، وكان لديهما متسع من الوقت، فإنها تدخل البيت، وتساعد جينيا في ترتيبه، وهي تضحك بصمت من سفيرينو؛ لأنه - ككل الرجال - لا يعرف ماذا يعني الحفاظ على ترتيب البيت. وتُكمل مزاحها قائلة لجينيا إنها تعتني به كزوج، لكن جينيا دائماً ما تغضب لذلك، وتجيبها بأن لديها في البيت ما يكفي من الملل، وما ينقصها - حقاً - هو الرجل. وفي الحقيقة، فإن جينيا كانت تمزح، ذلك أن متعتها الحقيقية تكمن في البقاء وحدها في البيت، في تلك الساعة؛ لتشعر أنها سيدة البيت، ولكنها كانت تودّ أن تُنبّه روزا، بين حين وآخر، بأنهما لم تعودا صغيرتَيْن. لكن روزا لا تشعر بذلك، فحتّى حينما تسيران في الشارع، فإنها لا تتصرّف كامرأة، كانت تتلفّتُ، وتضحك كثيراً، وتصرخ، بشكل طفولي، فكانت تعتري جينيا رغبة في ضربها. ولكنْ؛ حينما تذهبان إلى الرقص، فإن حضور روزا ضروري جداً؛ لأنها كانت تعامل الجميع، بلا اكتراث، وتصرّفاتها الجنونية تلك تجعل جينيا في نظر الآخرين أكثر نضوجاً ورقّة.

وفي تلك السنة الجميلة؛ حيث بدأت حياتهنّ المستقلّة، أدركت جينيا أنها تختلف عن الأخريات، كونها مستقلّة حتّى في البيت - فهي لا تعير اهتماما لوجود سفيرينو - وأن بوسعها العيش كامرأة رغم سنيها الستّة عشر. وقد استمرّت بصحبة روزا التي كانت تسلّيها كثيراً، ما دامت تضع تلك النجمة في شعرها. فليس بوسع فتاة في الحي كله أن تكون حمقاء مثل روزا حينما تريد ذلك. كان بوسعها أن تهزأ بأي كان، تضحك، وتحدّق في الفراغ، وفي بعض الليالي، كانت لا تفعل، أو تقول شيئاً إلا للمزاح. وكانت تتشاجر مثل ديك.

"ما بك، يا روزا؟" يسألها أحدهم بينما الأوركسترا تستعدّ للعزف.

"أنا خائفة (تقول ذلك، وقد برزت عيناها من محجرَيهما)، لقد رأيتُ عجوزاً هناك، يحدّق فيّ، وهو ينتظرني في الخارج، أشعر بالخوف".

لا يصدّقها الشاب، يقول لها ممازحاً "لَعلّه جدّك!".

"أيها الأحمق"، تصرخ به.

"لنرقص، إذاً"، يطلب منها الشاب.

"كلا، فأنا خائفة".

وفي منتصف الأمسية، تسمع جينيا الشاب، وهو يصرخ:

"أنت فتاة سيئة الأدب، إنك سحّارة، اغربي عن وجهي، وعودي إلى المعمل".

حينها تتفجر روزا ضاحكة، فيضحك معها الآخرون، لكن جينيا، وهي ترقص تفكّر في أن المعمل هو ما يجعل من الفتاة هكذا. ثمّ إن العمّال الميكانيكيين - أيضاً - يقومون بمزاح مشابه حينما يريدون التعرّف على فتاة ما. وإذا ما كان أحدهم حاضراً في الأمسية، فلا شك أنه سيثير غضب إحدى الفتيات قبل أن تنتهي الأمسية، وإذا ما كانت الفتاة حمقاء، فإنها - حتماً - ستبكي. يسخرون من الآخرين، تماماً كما تفعل روزا، ويسعون - دائماً - في اصطحاب الفتيات معهم إلى المروج. لا يمكن لأحد أن يتحدّث معهم، بل يجب أن يكونوا - دائماً - في حالة الدفاع. ولكن أجمل ما فيهم هو غناؤهم في بعض الأماسي، وكانوا يجيدون الغناء، على الأخص، حينما يكون بينهم فيروتشي بغيتاره، وكان شاباً طويلاً أشقر، عاطلاً عن العمل دائماً، ولكنْ؛ لا تزال أصابعه سوداء مشقّقة، بفعل عمله بالكربون. كان يبدو مستحيلاً أن تلك اليدَيْن الخشنتَيْن متمرّستان هكذا على العزف، وجينيا

التي شعرت بهما ذات يوم تحت آباطها، بينما كانوا عائدين من التلال، كانت تحاول أن تتجنّب النظر إليهما، بينما كانتا تضربان على الأوتار. وقد أخبرتها روزا أن فيروتشي سأل عنا مرَّتَيْن أو ثلاث، فأجابتها جينيا:

"قولي له أن يقصّ أظافره أولاً". كانت تتوقّع أن يضحك فيروتشي لما قالته، لكنه لم ينظر إليها - بعد ذلك - مطلقاً.

وذات يوم، وبينما كانت جينيا تخرج من محلّ الخياطة، وهي تعدل القبّعة على رأسها بكلتَي يدَيْها، وإذا بها تلتقي بروزا أمام الباب، فتقدّمت روزا نحوها باندفاع.

"ما بك، يا روزا؟".

"لقد هربت من المعمل" أجابت.

مشتا سوياً حتّى محطّة الترام وكانت روزا غارقة في الصمت، وقد أزعج ذلك جينيا التي لا تدري ما تقول. وعند نزولهما من الترام، قرب البيت، تمتمت روزا قائلة إنها تخشى أن تكون حُبلى. انهالت عليها جينيا، توبّخها، وتصفها بالحماقة، فتشاجرتا عند زاوية البيت، وبعد ذلك، تصالحتا، فقد كان سبب هيجان روزا نوبة الفزع التي سيطرت عليها. على أن غضب جينيا كان أشدّ، فقد أحسّت أن الجميع قد سبقوها، وتركوها غارقة في طفولتها، بينما كانوا هم يستمتعون بشبابهم، حتّى روزا سبقتها رغم أنها بلا طموح. أنا أفضل منهنّ جميعاً، كانت تقول في نفسها، إنه لمن المبكّر أن تمارس الفتاة الجنس، بعمر ستة عشر عاماً. إن هي لوّثت نفسها، فهذا من سوء حظّها. كانت تقول ذلك، وهي لا تكفّ عن الشعور بالإهانة، فكون الفتيات الأخريات قد ذهبن كلهنّ إلى المروج بصحبة الفتية دون أن يتفوّهن بكلمة، في حين هي التي كانت تعيش وحدها، لا يزال قلبها يخفق، إذا ما مسّتها يد رجل، كان هذا يُشعرها بالاختناق.

"لماذا جئتِ يومها؛ لتخبريني بحملكِ؟"، سألت روزا ذات عصر يوم حينما خرجتا سوياً.

"ولمَن سأقول ذلك، إذنْ؟ لقد أصابني الهلع حينها"، أجابت روزا.

"ولماذا لم تخبريني - قطّ - بما كنت تفعلين قبل ذلك؟".

كانت روزا - حينها - قد تجاوزت مرحلة الفزع، فتفجّرت ضاحكة، ثمّ غيّرت من مشيتها، وقالت:

"أن لا تقوليه يجعله أشهى. ثمّ إن الكلام فيه يجلب سوء الحظ".

فكّرت جينيا في نفسها: إنها - لا شكّ - حمقاء. ها هي - الآن - تضحك، أما في البداية؛ فكانت تريد أن تقتل نفسها. لم تصبح امرأة بعد، هذه هي حقيقة الأمر.

وبينما كانت تذهب إلى عملها، حتّى حينما تكون وحدها، فإنها تقول في نفسها إنهنّ جميعهنّ شابّات، ولكنْ؛ يجب أن يبلغنَ العشرين على عجل، حتّى تصبح حياتهنّ أكثر استقلالاً. وذات مساء، صرفت جينيا كل وقتها، وهي تتأمّل عشيق روزا بأنفه الأعوج، وكان شاباً صغيراً، اسمه بينو، ولا يُحسن شيئاً في الحياة سوى لعب البلياردو، وليس لديه عمل يقوم به، وكان كلامه يخرج من زاوية فمه. لم تستوعب جينيا كيف لروزا أن ترافقه إلى السينما بعد أن أدركت مدى جُبنه. وقد رسخ في ذاكرة جينيا ما شاهدتْه ذات يوم، وكان يوم أحد، وقد ذهبوا جميعاً في المركب، ورأت كيف كان ظهر بينو ابرش كأنه صدئ. والآن وقد حضر في ذهنها ذلك اليوم، تذكّرت أن روزا ذهبت معه تحت الأشجار. كم كانت جينيا حمقاء؛ إذ لم تدرك ذلك حينها! وكانت روزا أكثر حماقة، وقد قالت لها ذلك مرة أخرى على باب السينما. كانت تتذكّر كم من مرّة ذهبوا في المركب، وكم تمازحوا،

وضحكوا، وسخروا من كل العشاق. وجينيا التي كانت تراقب الجميع لم تنتبه - مطلقاً - لروزا وبينو. وفي ظهر يوم حار، بقيت هي وتينا العرجاء في المركب، أما الآخرون؛ فقد نزلوا إلى الشاطئ، وكان صراخهم يصل إلى مسامعهما. تينا التي لم تخلع ملابسها، قالت لجينيا:

"إذا لم يأتِ أحد، فإني سأخلع ملابسي؛ لأتشمّس قليلاً".

قالت لها جينيا إنها ستراقب مجيء الآخرين، بينما - في الحقيقة - كانت تُنصت للصراخ والصمت القادمَيْن من الشاطئ. مرّ بعض الوقت والصمت يسود الشاطئ، وكانت تينا مستلقية تحت أشعّة الشمس، وقد لفّت المنشفة حول خصرها. حينها قفزت جينيا على العشب، ومشت حافية القَدَمَيْن لبضع خطوات، لكنها لم تسمع صوت أميليا، والتي كانت قد تبعت الآخرين. تصوّرت جينيا الحمقاء أنهم كانوا يلعبون لعبة التخفّي، فلم تبحث عنهم، وعادت إلى المركب.

-٢-

كان معروف لدى الجميع أن حياة أميليا مختلفة. كان أخوها يعمل كميكانيكي، ونادراً ما تأتي مع الآخرين في مساءات ذلك الصيف، ولا تشي بأسرارها لأحد رغم أنها تمازح الجميع، ذلك أنها تبلغ من العمر تسعة عشر، أو عشرين عاماً. وكانت جينيا تتمنّى أن يكون لها طول أميليا، فقد كانت الجوارب الطويلة جميلة جداً في ساقَيْها، رغم أنها قد رأتها بالمايوه، وبدت لها بدينة الخصر، كحصان.

"أنا عاطلة عن العمل"، قالت لجينيا ذات مساء، وهي تتأمّل فستانها: "لديّ وقت طوال اليوم؛ لأدرس الموديل المناسب لي. وقد تعلّمتُ الخياطة حينما كنتُ أعمل في محلّ خياطة مثلك".

فكّرت جينيا أن من الأفضل أن يصنع لها الآخرون ملابسها، لكنها لم تُفصح عن ذلك. تمشّتا سوياً ذلك المساء، ثمّ صحبتها جينيا حتّى بيتها؛ لأنها كانت تشعر بالأرق، ولا تفكّر بالنوم. وكان قد نزل المطر قبل ذلك، وغسل الإسفلت والأشجار، فكانت تشعر بالهواء البارد يداعب وجهها.

"أ ترغبين بالتنزّه؟" قالت أميليا ضاحكة "كيف يتصرّف معك أخوك سفيرينو؟".

"إن سفيرنو - الآن - في العمل، يقوم بإشعال كل المصابيح ومراقبتها".

"إذنْ؛ هو مَن ينير الأضواء للعشاق؟ وماذا يرتدي؟ لعله يضع بذلة كمصلحي المطابخ؟".

"ليس الأمر كما تظنين" قالت جينيا ضاحكة "إنه يعمل على مراقبة المفاتيح الكهربائية في محطة الكهرباء المركزية. يقضي ليله ساهراً أمام المكنة".

"وهل تعيشان وحدكما في البيت؟ ألا يلقي عليك نصائحه المملّة؟"

كانت أميليا تتكلم بمرح، كأنها تعرف الجميع، وكانت جينيا تتعامل معها بلا رسميات.

"وهل أنت عاطلة عن العمل منذ وقت طويل؟" سألتها جينيا.

"بل لديّ عمل، أعمل كموديل، يرسمني الرسّامون".

ما إن سمعت جينيا ذلك حتّى تطلّعت إليها، وبدا لها من نبرة صوتها أنها تمزح.

"ماذا يعني أنهم يرسمونك؟ أ يرسمون وجهك؟ أم جسدك؟ وهل تكونين عارية؟ أم بالثياب؟".

قالت لها أميليا إنها تعمل كموديل، وتجلس عارية أمام الرسّامين، فيرسموها. كانت جينيا تُنصت، وهي تتظاهر بالدهشة؛ لكي تحثّها على الكلام، ولكنها أدركت - تماماً - ما تقصده أميليا، إلا أنها لم تتوقّع منها أن تحكي كل ذلك لها؛ لأن أميليا لم تقل ذلك لأحد من قبل، وكانت روزا قد اكتشفت سرّها بالصدفة.

"أ تذهبين - حقاً - عند الرسّامين؟" سألت جينيا.

"كنتُ أذهب"، قالت أميليا "ولكنهم في الصيف يقومون بالرسم في الهواء الطلق؛ إذ لا يكلّفهم ذلك شيئاً".

"وكنتِ تتعرّين أمامهم؟".

"طبعاً" قالت أميليا. ثمّ رمت ذراعها على كتف جينيا، وأضافت "إنه عمل جميل، فأنت لا تقومين بأي شي سوى الاستماع لأحاديث الرسّامين. كنتُ أذهب عند أحد الرسّامين، وكان لديه استوديو عظيم جداً، وحين يأتيه الناس لزيارته، فإننا نقعد، ونحتسي الشاي. هكذا تتعلّمين العيش في هذا العالم، إنه أفضل من عمل التمثيل. "وهل كانوا يدخلون بينما أنت عارية؟".

"أجمل ما في الأمر حينما تكون هناك نساء. أ تعلمين أن النساء يشترين تلك اللوحات؟ يدفعن لفتاة ما؛ لكي تُرسم لهنّ عارية. لا أفهم لماذا لا يقفن أمام المرآة، وينظرن لأنفسهنّ؟ لو يطلبن لوحات الرجال، لتفهّمتُ ذلك".

"لعلّهنّ يفعلن ذلك أيضاً"، قالت جينيا.

"كلا، لا أظن ذلك"، أجابت أميليا، وقد وقفت أمام الباب، ثمّ غمزت بعينها قائلة: "ولكنهنّ يدفعن لبعض الموديلات العاريات ضعف المبلغ. هيا، فالعالم جميل؛ لأنه متنوّع".

طلبت منها جينيا أن تأتي لزيارتها حين تشاء، ثمّ عادت - بعد ذلك وحدها - تسير على انعكاسات الأضواء فوق الإسفلت المبلّل بالمطر، والذي بدأ يجفّ بفعل دفء المساء. إنها أكبر مني سناً، وتتحدّث عن الكثير من الأشياء، فكّرت جينيا فرحة. لو أن لي خبرتها في الحياة، لكنتُ أكثر مكراً. ولكنْ؛ أُصيبت جينيا بخيبة الأمل حينما مرّت الأيام، ولم تأتِ

أميليا لزيارتها. أدركت أنها لم تكن تحاول استمالة صداقتها في تلك الليلة. هذا يعني - إذنْ - أنها تُخبر أياً كان بتفاصيل حياتها، وأنها حمقاء فعلاً، فكّرت جينيا. أ تظنّني طفلة، تصدّق كل ما يُقال لها؟ وذات مساء، حدّثت جينيا الأخريات قائلة إنها رأت لوحة في أحد المحلات، وكان جلياً أن الموديل العارية هي أميليا. صدَّقنها كل الفتيات، ولكنها أصرّت على القول بأنها تعرّفت عليها من جسدها؛ لأن الفتاة حينما تجلس عارية، فإن الرسّام عادة ما يغيّر وجهها.

"أ تظنّين - حقاً - أنهم يكترثون لأمر كهذا!" قالت روزا، وسخر الجميع من بساطة جينيا.

"أما أنا؛ فيسعدني أن يرسمني رسّام ما، وسأكون أسعد إذا ما أعطاني مالاً"، قالت كلارا.

وصارت الفتيات يتناقشن فيما إذا كانت أميليا حسناء أم لا، فقال أخو كلارا، والذي كان حاضراً معهم في المركب، بأنه أجمل منها حينما يكون عارياً. ضحك الجميع من ذلك، فقالت جينيا، ولكنْ؛ لم يستمع إليها أحد:

"لو لم يكن جسدها جميلاً، لما رسمها الرسّامون".

شعرت جينيا بالإهانة تلك الليلة، وكادت تبكي من الغضب، ولكنْ؛ مرّت الأيام، والتقت بأميليا مرّة أخرى، نزلتا من الترام، وتمشّتا، وهما تتحدّثان. وكانت جينيا أكثر أناقة من أميليا التي تسير حاملة قبّعتها بيدها، وتضحك مكشّرة عن أسنانها. وفي اليوم التالي، جاءت أميليا؛ لتزورها، ظهرت أمام باب بيتها المفتوح على مصراعَيْه في حرّ الصيف، فرأتها جينيا التي كانت تقبع في الظلام قبل أن تراها الأخرى. تبادلتا التحية، وحين

فتحن الشبابيك، جالت أميليا ببصرها في المكان، بينما كانت تُروّح بالقبعة أمام وجهها لجلب الهواء، ثمّ قالت:

"فكرة رائعة أن تفتحي الباب على مصراعَيْه، كم أنت محظوظة! أما أنا؛ فلا يمكنني فعل ذلك في بيتنا، فنحن نسكن في الطابق الأرضي"، ثمّ ألقت نظرة في الغرفة الأخرى؛ حيث ينام سفيرينو "إن في بيتنا جوقة كبيرة، لدينا غرفتان فقط، ونحن خمسة، سوى القطط".

خرجتا سوياً، فقالت لها جينيا:

"حينما تشعرين بالضجر من بيتك، فتعالي لزيارتي، ستكونين في سكينة هنا".

ولم تقصد جينيا المساس بأهل أميليا، بل هي - فقط - سعيدة؛ لأنهما متّفقتان. لكن أميليا لم تجب بالقبول، أو الرفض، على أنها دعتها لشرب القهوة على حسابها قبل أن تستقلا الترام. ولم تأتِ لزيارتها في اليوم التالي، ولا في الأيام اللاحقة. وذات مساء، جاءت لزيارتها، ولم تكن ترتدي القبّعة، جلست على الأريكة، ضحكت، وطلبت منها سيجارة. كانت جينيا تُنهي غسل الصحون، بينما سفيرينو يحلق لحيته. أعطاها سفيرينو سيجارة، وأشعلها لها، وكانت أصابعه لا تزال مبلّلة، فتمازح الثلاثة مستذكرين عمل سفيرينو في إنارة المصابيح. كان سيفيرنو على عجلة من أمره، لكنه أوصى جينيا أن لا تبقى خارج البيت حتّى وقت متأخّر من الليل. وبينما كان يخرج، نظرت إليه أميليا، والبسمة تغطّي وجهها.

"ألا ترغبين في تغيير صالة الرقص التي ترتادينها؟". قالت لجينيا "قد يكون هؤلاء الشباب طيبين، ولكنهم ثقيلو الدم، تماماً كصديقاتك".

توجّهتا سوياً إلى مركز المدينة، كلاهما بدون قبّعة، تمشّتا تحت

الظلال، ثمّ اشترتا المثلّجات، وضحكتا من المارّة، بينما كانتا تأكلانها. كل شيء مع أميليا تصبغه البساطة، وكانت جينيا تتمتّع، كأن لا هَمّ لها في الحياة، وقد صادفتهما الكثير من المسرّات في ذلك المساء. ظنّت جينيا أن بوسعها الوثوق بأميليا التي تسير وتنظر إلى الآخرين بوقاحة، وقد بلغ عمرها العشرين عاماً. ولم ترتد أميليا الجوارب الطويلة لشدّة الحرّ، وحينما مرّتا بالقرب من صالة رقص، تلك التي تعزف فيها الأوركسترا بهدوء، وتنتصب فوق طاولاتها الأضواء الخافتة، كتمت جينيا أنفاسها، كانت تخشى دخولها مع أميليا، فهي لم تدخل - مطلقاً - في صالات كتلك. قالت لها أميليا

"لعلّك تريدين دخول هذه الصالة؟".

"أرى الجوّ خانقاً، ونحن لا نرتدي الملابس الملائمة"، قالت جينيا "لذلك أظنّ من الأفضل أن نتمشّى".

"أنا - أيضاً - ليست لديّ رغبة في الدخول"، قالت أميليا "ولكنْ؛ ما عسانا نفعل؟ لا أحسبك تريدين الوقوف في زاوية الشارع للضحك من المارة؟".

"وماذا تريدين أن نفعل؟" سألت جينيا.

"آه، لو كنا رجالاً، ولو كانت لدينا سيارة، لكنا - الآن - نسبح في البحيرة"، قالت أميليا.

"لنتمشّ، ونتحدّث، إذنْ" ردّت جينيا.

"ربّما يكون بوسعنا الذهاب فوق التلال؛ لنحتسي بعض النبيذ، ونغنّي.

أ تحبّين النبيذ؟". كانت جينيا تجيب بالرفض، بينما أميليا تراقب مدخل الصالة.

"ولكنْ؛ دعينا نحتسي كأس نبيذ على الأقل" قالت أميليا، ثمّ أضافت: "هيا، لنذهب، ولكن الذنب ذنبك، إذا ما أصابنا الضجر".

احتستا كأس النبيذ في أول بار، صادفتاه، وحينما خرجتا، شعرت جينيا بعذوبة هواء، لم تشعر بها قبل ذلك، فقالت في نفسها جميل أن المشروب يُنعش الدم. وكانت أميليا في تلك الأثناء تقول لها إن مَن يعمل طوال اليوم، فمن حقّه أن ينفّس عن نفسه في المساء، ولكنْ؛ تأتي لحظات - أحياناً - تشعر الواحدة فيها بالخوف من مرور الوقت، ولا تدري فيما إذا كان مجدياً الركض طوال الوقت.

"ألا يصيبك هذا الشعور؟"، سألتها.

"أنا أركض - فقط - من أجل الذهاب إلى العمل"، ردّت جينيا "ونادراً ما أستمتع بوقتي، لذلك ليس لديّ الوقت للتفكير بهذا".

"أنت لا تزالين في ريعان الشباب"، قالت أميليا "يحدث لي - أحياناً - أن لا أقف لحظة حتّى خلال العمل".

"ولكنك حينما تعملين كموديل أمام الرسّام، فإنك لا تتحرّكين"، قالت جينيا. ضحكت أميليا، وأجابت

"بل يتهيّأ لك ذلك. فالموديل الماهرة هي التي تُثير جنون الرسّام. إذا لم تتحرّكي بين حين وآخر، فإنه سينسى أنك موجودة، وسيعاملك كخادمة. مَن يصبح نعجة، تأكله الذئاب".

أجابتها جينيا بابتسامة باردة، ولكنْ؛ كان هناك كلام يحرق حنجرتها أكثر من الشراب الذي احتستْهُ. عندئذٍ طلبت من أميليا أن تذهبا للجلوس في الهواء الطلق، وأن يحتسيا كأساً آخر.

"ولم لا؟"، قالت أميليا.

طلبتا النبيذ، وبينما كانتا تخرجان، وكانت جينيا تشعر بالحرّ، قالت لأميليا بعفوية "أريد أن أطلب منك شيئاً، أريد رؤيتك حين تجلسين كموديل" .

تكلّمتا بينما كانتا تقطعان الطريق، وكانت أميليا تقول ضاحكة إن الموديل سواء كانت عارية أم بالملابس، فإن الأمر مثير للرجال، وليس للفتيات. ثمّ إن الموديل تقف دون حراك، فما الذي كانت تريد رؤيته جينيا؟ قالت جينيا إنها تريد رؤية الرسّام، وهو يرسمها، فهي لم تر - قطّ - رسّاماً، يعبث بالألوان، وكانت تظن أنه أمر جميل.

"لا أعني اليوم، أو غداً"، قالت جينيا "أعرف أنك لا تعملين الآن، ولكنْ؛ إذا ما طلبك رسّام، ما فعليك أن تعديني أنك ستأخذينني معك".

ضحكت أميليا مرّة أخرى، وقالت لها إذا كان الأمر يخصّ الرسّامين، فهذا سهل جداً، وهي تعرف أين يعملون، وبوسعها اصطحابها إليهم.

"ولكنهم أنذال، عليك أن تكوني حذرة"، وصارت جينيا تضحك معها أيضاً. جلستا على أريكة هناك، ولم يمرّ أحد بهما، فلم يكن - حينها - الوقت مبكّراً، ولا متأخّراً. ثمّ قضتا المساء في صالة رقص فوق التلال.

-٣-

منذ ذلك الحين، صارت أميليا تمرّ باستمرار لاصطحاب جينيا معها، والخروج سوياً. كانت تدخل الغرفة، وتتكلم بصوت عالٍ، فتحرم سفيرينو النوم. وحينما كانت تمرّ روزا على جينيا عند العصر، فإنها تجدهما متهيّئتَيْن للخروج. تنهي أميليا سيجارتها - إذا كانت تدخّن حينها - بينما تقدّم النصائح لروزا التي حدّثتها عن علاقتها مع بينو. يبدو جلياً أن روزا غير مرتاحة في عملها، وبما أن ليس لديها ما تقوم به، فإنها تقضي اليوم بصحبتهما. وكانتا تسخران منها، تمزح أميليا معها، وتضحك في وجهها، وتدّعي أنها لا تصدّق شيئاً ممّا تقوله. وحينما أيقنت جينيا أن أميليا ليست إلا عفريتة مسكينة، أصبحت تربطها بها علاقة حميمة، وصارت تفهمها من نظرة عينيها، أو من حركة فمها الرديء الماكياج. وتخرج أميليا دون جوارب طويلة؛ لأنها لا تملكها، وكانت ترتدي ثوبها الجميل ذلك، والذي لا تملك غيره. وقد أيقنت جينيا - أيضاً - أنها تشعر بحُرّيّة ومتعة أكثر حينما تخرج دون قبّعة. الشخص الوحيد الذي كان يغيظ جينيا هي روزا التي فهمت مغزى حياة أميليا. - يجدر بنا أن نستمتع بالحياة - تقول روزا - ما دامت الواحدة منا قادرة على فعل ذلك - . سألت جينيا أميليا عدّة مرّات عن سبب توقّفها عن العمل كموديل، فكانت أميليا تقول لها بأنها يُفترض ألا تكون عاطلة عن العمل؛ لكي تجد العمل المناسب.

كم من الجميل أن تقضي الفتاة يومها بالتنزّه دون القيام بشيء، خصوصاً في الأوقات التي يكون فيها الهواء منعشاً، والأجمل من ذلك أن تكون غاية في الأناقة، وأن يرمقها الناس، بينما هي تتطلّع إلى واجهات المحال. في حين تقول لها أميليا

"يغيظني أن أكون عاطلة عن العمل، كما أنا عليه الآن".

وكانت جينيا مستعدّة لدفع الكثير من أجل أن تسمعها، وهي تتحدّث عن الأشياء التي تعجبها؛ لأن العلاقة الحميمة الحقيقية هي معرفة ما يرغب فيه الآخر. وإذا ما اكتشفنا أن ذات الأشياء تعجب الشخص الآخر، فإنه يفقد تلك الهالة الغامضة التي تحيط به. ولكنْ؛ لم تكن جينيا متأكدة من أن أميليا تنظر لذات الأشياء التي تنظر لها هي أيضاً حينما يمرّان أمام المحلات. ليس بوسعها الجزم بأن تلك القبّعة تعجبها، أو ربمّا ذلك الثوب، فقد تضحك أميليا في أي لحظة من أي شيء، تماماً كما تفعل مع روزا. ولأنها كانت وحيدة طوال اليوم، فلم تكن تفصح عمّا ترغب القيام به، وإذا ما تحدّثت، فإنها لا تتحدّث بجدّيّة مطلقاً.

"هل انتبهت يوماً، وأنت تنتظرين أحداً ما كم من الوجوه القبيحة كوجوه الخنازير تمرّ أمامك، وكم من السيقان التي تشبه سيقان الدجاج؟ يا للمتعة!".

لعل أميليا كانت تمزح، ولكنْ؛ ربمّا كانت - حقاً - تقضي أوقات الانتظار هكذا. عندها شعرت جينيا بأنها كانت حمقاء حقاً حين أفصحت ذات مساء عن رغبتها في رؤية أميليا، وهي تجلس كموديل أمام الرسّام. الآن أصبحت أميليا هي مَن يختار الأماكن التي ترتادانها، وكانت جينيا سعيدة وقانعة بكل اختياراتها. وحينما عادتا إلى صالة الرقص تلك، فإن جينيا

التي استمتعت كثيراً حينها، لم تتعرّف على الأضواء، ولا على الأوركيسترا، ولكنْ؛ راقت لها نسائم الهواء التي تدخل من الشرفات. كانت تودّ أن تقول لأميليا إنها لا ترتدي الملابس الملائمة للتجول بين الطاولات، لكن أميليا كانت تتحدّث بخفّة مع أحد الشباب. ولمّا توقّفت الموسيقى، ظهر شاب، وصافح أميليا وجينيا، فسألتْه أميليا عن شاب آخر، بينما كانت جينيا سعيدة أن تعرف عليها أحدهم، لكن الشاب اختفى بسرعة، وظهر - بدلاً عنه - شابٌ ثقيل الدم، كان قد رقص مع جينيا، لكنه مرّ - على عجل - دون أن يراها.

بدا لجينيا أنهما طوال الأمسية لم تجلسا إلى طاولة إلا لأخذ قسط من الراحة، بينما هما - الآن - تنتظران منذ وقت طويل تحت الشبّاك، وأميليا التي كانت أول مَن جلس، قالت بصوت عالٍ:

"الجلوس والحال هذه ممتع أيضاً"

ولم تكن الأخريات بأشدّ أناقة من أميليا، وكانت الكثير منهنّ لا يرتدين الجوارب الطويلة، لكن جينيا - الآن - تتطلّع إلى جاكيتات الندل البيضاء، بينما كانت تقول في نفسها أن هناك الكثير من السيارات في الخارج. ثمّ أدركت أنها كانت حمقاء حين توقّعت حضور رسّام أميليا وسط تلك الجموع.

كان الجوّ حاراً ذلك العام والخروج إلى الهواء الطلق ضرورياً، وبدا لجينيا أنها لم تعرف مسبقاً كم كان جميلاً قدوم الصيف، وكم كان رائعاً الخروج كل مساء للتجول في الشوارع الفسيحة. أحياناً يخطر في ذهنها أن هذا الصيف لن ينتهي أبداً، ولكنْ؛ يجد ربها الاستمتاع فيه، فإذا ما تغيّر الفصل، فستتغيّر أشياء كثيرة. لذلك فهي لم تذهب - بعد - مع

روزا إلى صالة الرقص، أو إلى السينما التي كانتا ترتادانها، ولكنها تخرج - أحياناً - وحدها، وتذهب إلى إحدى سينمات المدينة. لم لا تفعل ذلك، وقد كانت أميليا تفعله!!

وذات ليلة، مرّت أميليا بجينيا، وبينما كانتا تخرجان، قالت:

" لقد وجدت عمل".

لم تندهش جينيا للخبر، وكانت تتوقّع ذلك، ثمّ سألتها بهدوء، إذا ما كانت ستبدأ فوراً.

"لقد بدأت هذا الصباح"، قالت أميليا "عملت لساعتَيْن".

"أراك سعيدة"، قالت جينيا، ثمّ سألتها عن اللوحة التي يرسمها الرسّام.

"لا يرسم أيّ لوحة، إنه يتمرّن فقط، يرسم وجهي، بينما أنا أتكلّم. هذا العمل لن يستمرّ طويلاً"، قالت أميليا.

"إذنْ؛ أنت لا تجلسين عارية أمامه؟" سألت جينيا.

"أ تعتقدين أن عمل الموديل هو التعرّي فقط!" قالت أميليا.

"وهل ستعودين غداً أيضاً؟" سألت جينيا. وعادت أميليا في اليوم التالي، بل وبقيت تتردّد لعدّة أيام.

وفي مساء اليوم التالي، كانت أميليا تتحدّث ضاحكة عن الرسّام الذي لا يستقرّ في مكانه، وكان يسألها فيما إذا رسمها أحدهم، بطريقة كهذه؛ أي وهو يسير.

"لقد رسمني عارية هذا الصباح. إنه أحد أولئك الذين يبلغون هدفهم

ببطء، ولكنْ؛ ما إن ينقشك على الورقة بأربعة تخطيطات حتّى لا يعود بحاجة إليك".

سألتها جينيا كيف كان الرسّام، فقالت أميليا إنه رجل قصير.

"وكيف تعرّفت عليه؟"، سألت جينيا.

"بالصدفة"، قالت أميليا، ثمّ أضافت "مرّي بي غداً". وهكذا اتّفقتا على الذهاب سوياً إلى الرسّام في عصر يوم السبت.

وفي عصر ذلك اليوم، وتحت الشمس الحارقة، كانت أميليا قد أضحكت جينيا طوال الطريق. وصلتا، وصعدتا سلّماً على شكل حلزون، ثمّ دخلتا إلى غرفة كبيرة شبه ظلماء، يتخلّلها القليل من الضوء - فقط - من بين الستائر في العمق. توقّفت جينيا في آخر السلّم، وقد تسارعت دقّات قلبها، بينما صرخة أميليا بصوت عال

"صباح الخير"، ثمّ سارت حتّى منتصف الغرفة، فخرج من وراء الستائر رجل بدين، تعتلي وجهه لحية رمادية، وقال وهو يمسح يدَيْه:

"ليس لدينا عمل اليوم، يجب عليّ الخروج".

كان يرتدي قميصاً فاتح اللون، وحينما أزاح الستائر؛ ليضيء الغرفة أكثر، اتضح اللون الأصفر لقميصه المتّسخ.

"لا فائدة اليوم من العمل، ربّما من الأفضل استنشاق القليل من الهواء النقي".

جينيا لم تتحرّك من مكانها فوق السلّم، وكانت ترى ساقَي أميليا في انعكاس الضوء، وتقول لنفسها بصوت خفيض:

"هيا، لنغادر".

"لعل هذه هي صديقتك التي تريد التعرّف عليّ، إنها لا تزال طفلة حقاً. تقدّمي؛ لأراك في الضوء".

صعدت جينيا الدرجة الأخيرة بتردّد، وكانت تشعر بتلك العيون الرمادية الفضولية، وهي تحدّق بها، ولا تعرف إن كانت عيوناً عجوزة أم ماكرة. ثمّ سمعت صوت أميليا، وكان حادّاً وجافاً:

"ولكننا على موعد".

"وماذا عسانا نفعل؟"، قال الرجل "ربّما أنتما - أيضاً - تشعران بالإجهاد. ولأجل أن نعمل، فيجب أن نكون نشطين. أ لست سعيدة بالاستراحة التي أمحنُك إياها؟".

عندئذٍ جلست أميليا على كرسي تحت ظلّ الستائر، بينما كانت جينيا لا تعرف كم مرّ من الوقت على وجودها هناك، وكانت لا تعرف كيف تقابل النظرات التي يتبادلها الاثنان، ثمّ يحدّقان بها. كان يبدو لها أن الرجل يمزح، ولكنْ؛ ليس معهما، كان يتكلّم مع أميليا بجمل متقطّعة، وكان يقول باستمرار:

"ما عسانا نفعل!".

وفي لحظة ما، قفز إلى الخلف، بقامته القصيرة تلك، ثمّ أزاح الستائر أكثر. كانت تنتشر في تلك الغرفة الفارغة رائحة الجير والطلاء.

"ألا ترى أننا نتعرّق"، قالت أميليا "دعنا نرتاح قليلاً على الأقل، أليس كذلك، يا جينيا؟"، قالت ذلك، بينما الرجل يتلفت، ويزيل الستائر أكثر. أميليا التي وضعت ساقاً على أخرى، كانت تنظر إليه، وتضحك. كان أمام النافذة حامل، تعتليه قطعة قماش، تغطّيها بقع ألوان مختلفة.

"إن كنتَ لا تريد العمل الآن مع كل هذا الضوء، فمتى ستعمل، إذنْ؟"، قالت أميليا، ثمّ أضافت: "أراهن أنك تخونني مع موديل أخرى".

"بل أنا أخونك مع كل الطبيعة"، قال الرسّام، وكان منحنياً نحو الأرض "أ تظنّين أنك أثمن من نبتة ما، أو حصان؟ أنا أعمل حتّى حينما أسير، أ تفهمين ذلك؟" وفي الأثناء، كان يبحث في صندوق تحت الحامل، ويرمي هنا وهناك أوراق وعلب وفرش.

خلعت أميليا معطفها، ثمّ قالت ضاحكة، وهي تشير لجينيا:

"لم لا ترسم تخطيطاً لصديقتي؟ إنها لم تعمل كموديل لأحد من قبل".

التفت الرسّام، وقال:

"هذا - تماماً - ما سأقوم به، إن ملامحها تُثير اهتمامي".

أمسك فرشاة بيده، ثمّ أحنى رأسه، وجعل يدور حول جينيا، وهو يعبث بلحيته، ويحدّق فيها كقطٍّ. كانت جينيا وسط الغرفة، ولم تجرؤ على الحركة. ثمّ طلب منها الرسّام أن تتحرّك نحو الضوء، ودون أن يرفع عينه عنها، رمى ورقة على حامل اللوحة، وبدأ يرسم. كانت جينيا تحدّق في غيمة، لاحت فوق أسطح البيوت، بينما يخفق قلبها بسرعة كبيرة. سمعت أميليا تقول شيئاً ما، ثمّ تمشي في الغرفة، وتؤفّف، لكنها لم تنظر إليها. وحينما نادتها أميليا؛ لترى التخطيط، أغمضت جينيا عينَيْها؛ لتعتاد على الظلام، ثمّ انحنت على الورقة، وتعرّفت في التخطيط على قبّعتها، أما الوجه؛ فقد بدا لها وجهاً آخر، كانت ملامحه ناعسة، وخالية المعنى، وكان الفم مفتوحاً، كما لو أنها تتكلم في النوم.

"إنه لأمر مريب"، قال الرسّام باربتا "أ حقاً، لم يرسمكِ أحد؟".

طلب منها أن تنزع القبّعة، وأن تجلس، وتتحدّث مع أميليا. كانت تنظر كلّ منهما للأخرى، وقد اعترتهما رغبة في الضحك، بينما كان الرسّام يملأ أوراق أخرى بالتخطيطات. تحرّكت أميليا في تلك الأثناء، وقالت لجينيا ألا تفكّر باللوحة.

"إنه أمر مريب"، كرّر الرسّام باربيتا، وهو ينظر جانباً "يبدو أن بروفيلك العذراء، لا شكل له".

سألت جينيا أميليا إذا ما كانت ستعمل كموديل اليوم، فأجابتها أميليا بصوت عالٍ:

"يبدو أنه قد عثر عليك، ولن يتركك أبداً".

ولمّا كانتا تتكلمان، طلبت جينيا من أميليا إذا ما كان بوسعها أن ترى تخطيطاتها في الأيام السابقة، نهضت أميليا عندئذ، وجلبت الحافظة من نهاية الغرفة. فتحتْها، ووضعتها على ركبتَيْها، وقالت لها:

"انظري".

قلبت جينيا عدّة أوراق، وعند الورقة الرابعة أو الخامسة كانت تتصبّب عَرَقاً، ولم تجرؤ على الكلام؛ لأنها كانت تشعر بعيون الرجل الرمادية تحدّق بها. حتّى أميليا تحدّق بها، وهي تنتظر ردّة فعلها، وفي النهاية، سألتها:

"أ تعجبكِ التخطيطات؟"

رفعت جينيا رأسها، وهي تجهد في التبسّم:

"لا أستطيع التعرّف عليك في التخطيطات".

ثمّ تصفّحت الرسوم من جديدة واحداً تلو الآخر، وحينما انتهت، كانت شعرت بالطمأنينة أكثر، فعلى كل حال، كانت أميليا - الآن - أمامها، وهي ترتدي ملابسها، وتنفرج شفتاها عن ابتسامة. سألت جينيا ببلاهة:

"أ هو مَن رسم هذه التخطيطات؟".

أميليا التي لم تفهم سؤالها، أجابت بصوت عالٍ:

"بالتأكيد، لستُ أنا مَنْ رسمها".

انتهى باربيتا، وكانت جينيا ترغب في الانتظار قليلاً قبل أن ترى التخطيطات، لكن أميليا نادت عليها صارخة، وحينما رأت جينيا التخطيط، أصابها الذهول. كانت هناك رسوم كثيرة لرأسها، خطّطها الرسّام على عجل فوق الورقة، أحدها أعوج، والآخر عبوس، في حين هي لم تقم بذلك، ولكن الشعر، والخدود، والمناخر، تبدو حقيقية، كانت ملامحها تماماً. نظرت لباربيتا الذي كان يضحك، يبدو لها مستحيلاً أن تلك العيون هي ذات العيون الرمادية التي حدّقت بها. ثمّ ودّت أن تضرب أميليا التي كانت تماطل، وتصر بأنها كانت ساعة عمل، وأن جينيا لديها عمل، تعيش منه، وأنها جاءت معها بالصدفة، ولا تريد أن تسرق منها المهنة. كان باربيتا يضحك، ويقول إنه يجب عليه يخرج:

"هيا، سأدفع لكما المثلّجات، بعد ذلك، يجب عليّ أن أترككما".

-٤-

عادتا في صباح اليوم التالي سوياً إلى الرسّام، وكان على أميليا أن تعمل كموديل في ذلك اليوم.

"إياك أن تسرقي عملي، يا جينيا"، قالت أميليا. "إن هذا الملعون يعرف أنك تقبلين بالمثلّجات لقاء عملك، وبحجّة بروفيلك العذراء، فإنه يستغلّك".

لم تكن جينيا - في الحقيقة - سعيدة كذي قبل حينما فكّرت أن تخطيطات وجهها كانت تتواجد بين تخطيطات أميليا العارية، وتذكّرت دقّات قلبها المتسارعة حينما رأت تلك الرسوم العارية. كانت تأمل أن يمنحها الرسّام التخطيطات التي رسمها لها، ليس رغبة في الحصول عليها، بقدر ما تخشى أن تبقى معروضة لفضول الجميع. لم يكن بوسعها استيعاب فكرة أن باربيتا، ذلك العجوز البدين، قد رسم ومسح وتلاعب بسيقان وظهر وبطن وحلمات أميليا. لم يكن بمقدورها أن تنظر بوجه أميليا، وهي تتخيّل أن تلك العيون الرمادية قد حدّقت بها، وقاست تفاصيل جسدها، بينما هي واقفة، تتقلّب، أو تتحدّث.

"أ متأكدة أن وجودي لن يضايقكم في العمل؟"، سألت أميليا بينما كانت تخرج من الدار.

"اسمعي"، قالت لها أميليا، "أ لم تكوني راغبة في رؤيتي، وأنا أجلس

كموديل؟ في المرة القادمة سأكون حذرة من الاختلاط ببنات العوائل المحترمة".

كانت كل الشبابيك في الاستوديو مشرعة، والستائر مُزاحة، وبينما كانتا تنتظران باربيتا صعدت السلّم العجوز الخادمة؛ لتطمئن على مجرى الأمور. كانت جينيا تتساءل عن المكان الذي ستُمارس فيه أميليا عملها، بينما كانت أميليا تتحاور مع العجوز، وجعلتها تُغلق النوافذ؛ لأن نسمات الصباح كانت تزيد من برودة الغرفة. لم تكن العجوز تتكلم، بل كانت تغمغم، وكان وجهها عفناً، يغطّيه الشعر، فكانت أميليا تضحك خلفها. جاء باربيتا - أخيراً - يرتدي قميصه الوسخ، وشرع بالعمل منفعلاً، نقلوا الحامل حتّى نهاية الاستوديو؛ حيث كانت هناك أريكة، ثمّ أخرجوا حاملة الألوان. أنزلوا جميع الستائر ما عدا الأخيرة، فكان الضوء كله ينصبّ على تلك الزاوية. كانت جينيا - وسط انفعال العمل ذلك - تشعر أنها في المكان الخطأ، وبدا لها أن العجوز - أيضاً - كانت تنظر إليها بفضول. وحينما ذهبت العجوز، كانت أميليا - آنذاك - تخلع ملابسها قرب الأريكة، في حين كانت جينيا تراقب يد باربيتا الخشنة الممسكة بقطعة كربون، وهي تخطط في اللوحة البيضاء المسندة على الحامل. طلب منها باربيتا أن تجلس دون أن ينظر إليها، وسمعت أميليا - أيضاً - تقول لها ذلك. نظرت جينيا عبر الشبّاك إلى الأسطح، كما لو كانت تقوم بدور الموديل مرّة أخرى، وفكّرت في نفسها أنها - فعلاً - حمقاء. استجمعت قواها، والتفتت إليهما، وكان أول ما بادر ذهنها أن أميليا كانت تشعر بالبرد، وأن باربيتا كان قليلاً ما ينظر إليها، وأن الإحراج الوحيد هناك كان حضورها الذي دفعها إليه فضولها. أميليا - ببشرتها السمراء تلك - كانت تبدو وسخة، ومثيرة للشفقة، جالسة على الأريكة، وقد أسندت ذراعيها على كرسي أمامها، وغطّت وجهها، في

حين كانت تُبرز ساقيها، من الفخذ حتّى كعب الرجل، وخصرها، وإبطها. بدأت جينيا تشعر بالضجر بعد مرور وقت قصير. تأمّلت باربيتا، وهو يرسم، ويمسح، كانت ترى جبهته، وهو يركّز في عمله، ثمّ تبادلت ابتسامة مع أميليا، ولكنها لا تزال تشعر بالملل. عاودها خفقان القلب حينما رأت أميليا، وهي تنهض لأول مرة، تمطّطت، ثمّ التقطت كلسونها الذي سقط من على الأريكة، ولكنه كان خفقاناً ساذجاً، وربّما كان سيحصل حتّى لو كانتا وحدهما، إنه ينمّ عن الشعور بأن النساء متشابهات، وإن كل مَن يرى أميليا عارياً، كأنما يراها هي عارية. بدأت تشعر بالاضطراب، وأميليا التي تسند رأسها إلى ذراعها، نظرت إليها، وقالت:

"مرحباً، يا جينيا".

كان هذا كافٍ لجعلها تشعر بالسكينة والبهجة. لاحظت أن كعب أميليا محمرّ، وفكّرت بأنها هي - أيضاً - قد تُصاب بهذا الاحمرار إذا ما تعرّت.

"إن بشرتي أكثر طراوة من بشرتها"، قالت في نفسها. ثمّ سألت أميليا: "أ لم يرسمك مرّة بالألوان؟" فأجابها باربيتا:

"الألوان تدخل من الشبّاك مع أشعّة الشمس. ليست هناك ألوان في هذه الغرفة".

ثمّ عقّبت أميليا:

"أظن أن الأمر واضح، إنه بخيل جداً، والألوان غالية الثمن".

"ماذا تقولين؟"، قال الرسّام "المسألة أن الألوان لها قيمتها، واعتبارها، وأنت لا تدركين معناها، ولو أُزيل عنك الماكياج؛ لأصبحت باهتة. لدى الشقراء هذه ألوان زاهية أكثر منك".

رفعت أميليا كتفها دون أن تنبس ببنت شفة.

تناهى إلى مسامعهم صوت صفير، يأتي من بعيد، وصارت جينيا تتمشّى، فوجدت عند الشبّاك التخطيطات التي رسمها لها باربيتا، ولكنها لم تجرؤ أن تطلبها منه. بدأت تقلّبها، ورأت تخطيطات أميليا أيضاً، وصارت تقارن فيما بينهما، وتسأل نفسها إن كانت أميليا قد اتّخذت تلك الوضعيات فعلاً. أ من الممكن أن عجوزاً مثل باربيتا لا يزال يستمتع بنسخ الفتيات، ودراسة أجسادهنّ؟ هو - أيضاً - كان منغمساً في عمله تماما، فكّرت جينيا.

خرجتا بعد منتصف النهار، وكان ممتعاً أن تكونا وسط الناس، وأن تسيرا والملابس تغطّيهما، وأن يشاهدا هذا الكمّ من الألوان في الشارع، والتي تأتي - فعلاً - من الشمس، كونها تختفي في المساء. لم تكن أميليا منفعلة، كما كانت، ودفعت حساب شراب جينيا، ولم تتحدّث - قطّ - عن الرسّامين. في حين فكّرت جينيا طويلاً في الأمر ذلك اليوم، وفي أيام أخرى أيضاً، وهي جالسة وحدها على أريكتها، وكانت تستعيد في ذاكرتها فرح أميليا المغطّى بالشعر الأسود، وملامحها اللا مبالية، وثديَيْها المتدلّيَيْن. أ ليس في المرأة ما يُرسَم، وهي ترتدي ملابسها؟! إذا كان الرسّامون يريدون رؤيتها عارية، فلا بد أن لديهم مآرب أخرى. ولماذا لا يرسمون الرجال؟ حتّى أميليا نفسها تصبح شخصاً آخر حين تجلس عارية هكذا. تكاد جينيا تبكي، ولكنها لا تتفوّه بكلمة أمام أميليا، وهي - الآن - سعيدة أنها تكسب شيئاً من المال، وكان يسعدها الذهاب معها إلى السينما. ثمّ قامت أميليا بشراء الجوارب الطويلة، وسرّحت شعرها، بشكل أفضل، فأصبحت جينيا أكثر سروراً بالخروج معها؛ لأن أميليا كانت تثير إعجاب الآخرين، وكانوا يلتفتون للنظر إليها. انتهى الصيف على هذا الحال، وقالت أميليا ذات مساء:

"سيذهب صديقك باربيتا إلى الريف بحثاً عن الألوان، وسيحصل على الكثير منها، لقد أصبح مزعجاً جداً".

وكان لدى أميليا في ذلك المساء حقيبة جديدة، فسألتها جينيا:

"هل أهداها لك بمناسبة انتهاء العمل؟".

"مَن؟ هو؟" قالت أميليا، "إنك مثيرة للسخرية حقاً. كان هذا البخيل يريدك أن تعودي أنت؛ كي يرسمك دون مقابل".

فتشاجرتا؛ لأن أميليا لم تقل ذلك لجينيا من قبل، وقالت كل منهما كلاماً جارحاً للأخرى حتّى افترقتا غاضبتَيْن.

"لا بد أن لديها عشيقاً"، فكّرت جينيا، وهي تعود وحدها، "لقد وجدتْ عشيقاً، يقدّم لها الهدايا".

قرّرت جينيا ألا تصالح أميليا حتّى تأتيها، وتعتذر منها. ثمّ حاولت أن تستعيد صحبتها القديمة، رغم عدم رغبتها في ذلك. على أي حال، في الصيف القادم، ستبلغ سبعة عشر عاماً من العمر، وبدا لها - الآن - أن خبرتها في الحياة تفوق خبرة أميليا نفسها، ولم تعد صحبتها ضرورية. ثمّ حاولت - في تلك المساءات الجميلة - أن تلعب دور أميليا مع روزا. فصارت تضحك منها كثيراً، وتصحبها معها للتمشّي وتجاذب أطراف الحديث، وكانت روزا تحدّثها عن بينو. على أنها لم تجرؤ على اصطحابها للرقص فوق التلال.

لابد أن أميليا كانت على علاقة بأحد ما، فلم يرها أحد بعد ذلك. ما دامت المرأة ترتدي ثياباً أنيقة، فإنها مثار اهتمام الآخرين، كانت تقول جينيا في نفسها، ولكنْ؛ يجب أن تكون حذرة ألا يراها الآخرون عارية. ولم يكن

بوسعها الحديث بهذه الأشياء مع روزا، أو مع كلارا، ولا حتّى مع أخوَيْهما اللذَيْن قد يظنان بها سوءاً، ولعلّهما يحاولان التحرّش بها، ولم تكن هي ترغب في ذلك بعد أن أدركت أن هناك مَنْ هم أفضل من فيروتشي وبينو.

كنّ يضحكنَ، ويمزحنَ حينما يلتقينَ في المساء، بل ويتبادلنَ أطراف الحديث أيضاً ، ولكن جينيا تدرك أن ذلك كان مثل بهجة أيام الأحد حين كانوا يخرجون في المركب: إنها ليست سوى لحظات صبيانية عابرة، مجرد نشوة، تولدها الشمس، وبهجة الغناء، ومتعة رؤية أحدهم، وهو يلفّ خصره بالمنشفة؛ ليمثّل دور المرأة، من أجل تسلية الآخرين. أما الآن؛ فقد كانت المساءات وأيام الآحاد مثيرة للضجر؛ لأن جينيا لا تعرف ماذا قد تفعل وحدها، وكانت تترك للأخريات الخيار في اصطحابها؛ حيث شئنَ. وكانت متعتها الوحيدة تكمن في عملها، على الأخص حينما تنادي عليها صاحبة محل الخياطة؛ لتأخذ مقاسات زبون ما. وكانت تستمتع، وهي تنصت لحكايات زبونة حمقاء، والأكثر متعة هو حينما تتظاهر صاحبة المحل بتصديق الزبونة، في حين تعكس المرآة الملامح الساخرة على وجهها الماكر. وذات مرّة دخلت فتاة شقراء، وكانت تدّعي أن لديها سيارة، ولو كان ذلك حقيقة، لذهبت إلى محل خياطة أكثر فخامة من محلهم، قالت جينيا في نفسها. كانت شابة طويلة، ولا تضع خاتماً، لكنها كانت غاية في الجمال - هكذا بدا لجينيا - جميلة ورشيقة، حتّى حينما بقيت بالجوارب الطويلة وحمّالات الصدر فقط. ولو أنها قامت بالعمل كموديل، لرسمت لها لوحة رائعة، ولعلها كانت موديل فعلاً؛ لأنها كانت تتمشّى أمام المرآة، تماماً كما تفعل أميليا. بعد عدّة أيام، قرأت جينيا فاتورة الشابّة، لكنها لم تعرف عنها شيئا سوى اللقب، على أنها بقيت على رأيها، كانت الشقراء موديلاً، بلا شكّ.

وذات مساء، قبلت جينيا دعوة أحد أصدقاء سفيرينو، وكان قد جاء إلى البيت، وجلب أحد المصابيح، وفي اليوم التالي، ذهبت للقائه في محله. كان يعمل كأخيها، لذلك لم يُثر اهتمامها، وكان يرتدي بذلة العمل دائماً، بل وقبل بضع سنين، كان يمسكها من معصمها، ويدور بها في الهواء، أما الآن؛ فهو ينظر إليها، ولسانه بين أسنانه. كانت جينيا قد ذهبت للقائه؛ لأن بوسعها رؤية باب بيت أميليا من محله ، ولكن ماسيمو ذلك لم يدرك سبب وقوفها معه، وحديثها، ومزاحها، ولا سبب عودتها في اليوم التالي أيضاً. كانا ينظران للمصابيح الوردية والزرقاء، وكانت جينيا تتصرّف كالمجنونة. وبينما هي تنظر عبر واجهة المحلّ الزجاجية للأشخاص الذين يمرّون في الشارع، سألت ماسيمو إذا ما كان صحيحاً ما يقال عن أن أميليا كانت تتجوّل بفستان أبيض.

"مَن يدري؟!" أجاب ماسيمو، "فهناك فتيات كثيرات، يفعلن ذلك، ربمّا سفيرينو يعرف ذلك".

"ولماذا سفيرينو؟"، سألت جينيا.

"لأن الفتيات الطويلات يعجبنه، وبالذات أولئك اللواتي لا يرتدينَ الجوارب الطويلة".

"أ هو مَن قال لك ذلك؟"، سألته جينيا.

"كيف لا تعرفين ذلك، وأنت أخته؟" أجاب ماسيمو ضاحكاً. "دَعي أميليا تخبرك بذلك، ألا تأتي لزيارتك في البيت؟".

لم يخطر ذلك في ذهن جينيا، وفكرة كون أميليا تعجب سفيرينو، وربمّا أفصح بعضهما لبعض ذلك، ولعلهما - الآن - يلتقيان، هذا كله

أفسد عليها يومها. إذا كان هذا صحيحاً، فذلك يعني أن صداقتها مع أميليا كانت مجرد كذبة.

"أنا لستُ إلا طفلة"، قالت في نفسها، ولكي تسيطر على غضبها، تذكّرت أنها شاهدتها عارية، وأن ذلك أثار اشمئزازها. "أ هو حقاً كذلك؟" فكّرت في نفسها، ولكنها لم تستطع استيعاب فكرة أن سفيرينو مغرم بفتاة ما. وكانت على يقين من أن سفيرينو لو رآها جالسة كموديل عارية، ما كانت لتعجبه تلك المسكينة. "وربّما كانت ستُعجبه. ولكنْ؛ لماذا نكون عاريات؟" فكّرت بانزعاج.

عند المساء، كانت أكثر هدوءاً، وقد أيقنت أن ماسيمو قال ذلك دون دراية بالأمر. وبينما كانت تأكل تطلّعت إلى يدَي سفيرينو وأظافره المكسّرة، وقالت في نفسها إن أميليا كانت معتادة على أشياء مختلفة. ثمّ بقيت وحدها تحت الضوء الخافت، وهي تفكّر بالمساءات الجميلة حينما كانت أميليا تمرّ لاصطحابها معها، وفي تلك الأثناء، وإذا بصوتها يأتيها من وراء الباب.

-٥-

- "جئت لزيارتك"، قالت أميليا.

لم تجب جينيا بسرعة.

"ألا تزالين غاضبة مني؟" قالت أميليا "هيا، كفّي عن ذلك. هل أخوك موجود؟".

"لقد خرج قبل قليل"، أجابت جينيا.

كانت أميليا ترتدي ثوبها القديم، وقد سرّحت شعرها تسريحة جميلة. جلست على الأريكة، وسألت جينيا إذا ما كانت ترغب في الخروج. كانت تتكلم بنبرتها المألوفة، ولكنْ؛ بصوت خفيض كما لو كانت مصابة بالزكام.

- "أ جئتِ لزيارتي؟ أم لزيارة سفيرينو؟" سألت جينيا.

- "آه، يا للناس! دعك من هذا الأمر، كل ما أرغب فيه هو المتعة، ليتك تأتين معي، أنت أيضاً".

عندئذٍ غيّرت جينيا ملابسها، ونزلتا السلّم، وتلبية لطلب أميليا، روت جينيا ما قامت به خلال ذلك الشهر.

"وأنت، ماذا فعلت؟" سألت جينيا.

"وما تظنيني فعلت" قالت أميليا ضاحكة "لم أفعل شيئاً. قلتُ في نفسي: سأذهب هذا المساء؛ لأرى إذا ما كانت جينيا لا تزال تفكّر بباربيتا".

لم تصب جينيا شيء آخر منها، ولكنها اكتفت بهذا.

"أ نذهب لاحتساء كأس من النبيذ؟" قالت أميليا. وبينما كانتا تشربان النبيذ، سألت أميليا جينيا عن سبب عدم مجيئها لزيارتها.

"ما كنتُ أعرف أين أجدك" قالت جينيا.

"وأين عساي أذهب؟! كنتُ أقضي أيامي في البار".

"لم أكن أظن ذلك". قالت جينيا.

وفي اليوم التالي، ذهبت للقائها في البار، كان باراً جديداً تحت الأروقة، فجعلت جينيا تبحث عن أميليا. فجأة نادتها أميليا بصوت عالٍ، كما لو كانت في بيتها، فرأتها جينيا ترتدي معطفا جميلاً، وقبّعة ذات شبك، وكادت ألا تتعرّف عليها. كانت جالسة، وقد وضعت ساقاً على أخرى، وأسندت رأسها إلى يدها، كما لو كانت تجلس أمام رسّام.

"لقد جئتِ، إذنْ!" قالت ضاحكة.

"أ تنتظرين أحداً ما؟" سألتها جينيا.

"أنا بانتظار دائم" قالت، وأفسحت لها مكاناً جنبها "أنتظر عملي. من أجل أن تجلسي كموديل أمام رسّام ما، يجب عليك أن تقفي في الطابور".

كانت على الطاولة أمام أميليا صحيفة وعلبة سجائر، وهذا يعني أنها تكسب بعض المال.

"جميلة هذه القبّعة، ولكنها تجعلكِ تبدين أكبر سناً" قالت جينيا وهي تنظر في عينَيْها.

"أنا - أصلاً - متقدّمة في السّنّ" قالت أميليا "أ يضايقك هذا؟".

كانت أميليا تستند إلى المرآة، كما لو أنها جالسة على أريكة، مدّت رأسها إلى الأمام؛ حيث المرآة المقابلة لها، والتي ترى فيها جينيا نفسها أيضاً، ولكنْ؛ أقصر من صديقتها. كانتا تبدوان كأمّ وأبنتها.

"أ تأتين إلى هنا دائماً؟" سألتها جينيا "أ هنا يلتقي الرسّامون؟".

"إنهم يأتون حينما تكون لديهم الرغبة. اليوم - مثلاً - لم أرَ أحداً منهم".

كانت المصابيح منارة، ويمرّ الكثير من الناس أمام الواجهة الزجاجية. غاص المكان في دوّامة من الدخان، فبدت الأضواء، وكأنها في بُعد آخر. نظرت جينيا إلى شابتَيْن تتحدّثان إلى النادل.

"أ تعملان كموديل؟" سألت.

"لا أعرفهما" أجابت أميليا "أ ترغبين بقهوة أم بمشروب كحولي؟".

كانت جينيا تظن أن مَن تذهب للبارات إنما تبغي التعرّف على شابّ ما، وليس بوسعها التصديق أن أميليا تقضي العصر هناك وحدها. وعند خروجها من محل الخياطة، أدركت جينيا كم كان جميلاً أن لديها مكاناً، تأوي إليه، وازدادت متعتها أكثر حين تأكّدت أن أميليا كانت سعيدة بلقائها، فعادت إلى البار في اليوم التالي. رأتها أميليا - هذه المرّة - من وراء الزجاج، ولوّحت لها بيدها، ثمّ خرجت، واستقلّتا الترام سوياً. أميليا لم تتكلم كثيراً ذلك المساء، ولكنها قالت :

"هناك الكثير من سيّئي الأدب".

"أكنتِ بانتظار أحد ما؟" سألت جينيا.

تحدّثتا قليلاً، ثمّ اتفقتا، قبل أن تفترقا، على أن تتقابلا في اليوم التالي، وهكذا تأكّدت جينيا أن أميليا تسعد بلقائها، وإذا ما قد تعكّر صفو علاقتهما من قبل، فربمّا كان لأسباب تافهة.

"ماذا يفعل الرسّام؛ ليطلبكِ للعمل؟ أ يأتي، ويسألك إذا ما كنت ترغبين في العمل معه؟" سألت جينيا ضاحكة.

"بعضهم لا يطلب منك ذلك" أجابتها أميليا "ليسوا بحاجة لموديل".

"وماذا يرسمون إذنْ؟" سألت جينيا.

"تصوّري أن بعضهم يقولون : نحن نرسم تماماً، كما تقمنَ أنتنّ بوضع أحمر الشفاه. ماذا ترسمين أنت حينما تضعين أحمر الشفاه؟ الشيء ذاته أرسمه أنا".

"ولكنْ بأحمر الشفاه نحن نلوّن شفاهنا".

"وهم يلوّنون اللوحة. وداعاً، يا جينيا ".

حينما تمزح أميليا دون أن تضحك، ينتاب جينيا القلق أن يكون قد حصل شيء ما، عندها تشعر بالضيق، وتعود إلى البيت، وقد تملّكها الشعور بالوحدة. لحُسن حظّها أنها تنشغل حين عودتها إلى البيت بتجهيز الباستا لسفيرينو، وعندما تنتهي من تناول العشاء، يكون قد تغيّر كل شيء؛ إذ يأتي المساء، ويحين وقت خروجها وحدها، أو بصحبة روزا. أحياناً يخطر بذهنها، وتسأل نفسها: أيّ حياة هي حياتي! لا أتوقّف، ولا حتّى لحظة واحدة. على أن تلك الحياة كانت تروق لها، هكذا - فقط - بوسعها أن تستمتع بلحظات السكينة عند العصر، أو عند المساء، حينما تلتقي بأميليا

في البار، وترتاح من أعباء اليوم. لو لم تكن أميليا موجودة في حياتها، لكان لديها فائض من الوقت، ولكنْ؛ لفعل ماذا، الآن وقد انقضت أنهر الصيف الجميلة، وليس هناك أيّ طعم حتّى في التجوال في الشارع؟ إذا ما تحقّق شيء في حياتها في ذلك الشتاء - وكانت جينيا تشعر بشيء كهذا - فإنه سيحدث - حتماً - بصحبة أميليا، وليس بصحبة فتيات حمقاوات مثل روزا وكلارا.

تعرّفت جينيا على بعض الأشخاص في البار، كان هناك سيد يشبه باربيتا، وكان يصافح أميليا حينما تغادران. كان يتعامل معها باحترام شديد، لكن أميليا قالت لجينيا إنه ليس رسّاماً. ثمّ كان هناك شاب، يقف - عادة - بسيارته أمام الأروقة بصحبة سيدة أنيقة جداً، وقد دخل بعض المرّات إلى البار، وكانت أميليا لا تعرفه، ولكنها قالت إنه لم يكن رسّاماً.

"ليس الرسّامون بكثيرين، أ تعرفين؟" قالت لجينيا "مَن يعمل حقاً، لا يرتاد البارات".

على أي حال، فقد كانت أميليا تعرف النُّدُل أكثر ممّا تعرف الزبائن، ولكن جينيا التي تستمتع لسماعهم يمزحون، كانت شديدة الحذر من توطيد علاقتها بهم.

وكان هناك شاب دائماً ما يجلس مع أميليا، وفي المرّة الأولى التي حيّا بها جينيا، لم ينظر إليها. وكان شاباً كثير الشعر، وعيناه شديدتي السواد، يضع ربطة عنق بيضاء، وكان اسمه رودريغوس. وفي الحقيقة، كان لا يبدو عليه أنه إيطالي، وكثيرا ما يتنحنح حين يتحدّث، وكانت أميليا تعامله كصبي، وتقول له أنه لو يكفّ عن صرف ليرة كل يوم في شرب القهوة، لأمكنه في عشرة أيام أن يدفع له موديل. تُنصت جينيا إليهما مستمتعة،

والشاب يتحدّث بصوته المتردّد ذلك، ويعامل أميليا على أنها شابة جميلة، وذات نزوات. تضحك هي منه، ولكنها - أحياناً - تتضايق منه، وتطلب منه الانصراف. عندئذٍ يغادر رودريغوس الطاولة، يتناول قلمه، ويبدأ بالكتابة، بينما ينظر إليهما بازدراء.

"لا تُعيريه اهتماماً" تقول أميليا "وإلا فإنه سيستمتع بذلك".

شيئاً فشيئاً اعتادت جينيا - أيضاً - على إهماله. وذات مساء، خرجتا سوياً دون وجهة، تمشّتا قليلاً، وحين بدأت تُمطر، لاذتا بأحد الأبواب، شعرتا بالبرد، وهما واقفتان دون حراك، وقد تبلّلت جواربهما. قالت أميليا:

"ما رأيك أن نذهب عند غويدو، إن كان في البيت؟".

"ومَن هو غويدو؟" سألت جينيا.

مدّت أميليا رأسها، تنظر إلى نوافذ البيت المقابل.

"الأضواء مشتعلة، هيا لنذهب، سنكون في مأمن من البرد هناك".

صعدتا ما يقارب الستّ طوابق، ووصلتا إلى الطابق الأخير، عندها قالت أميليا، وقد توقفت تلقف أنفاسها:

"أ أنت خائفة؟".

"ولمَ الخوف؟" أجابت جينيا، "ألا تعرفينه؟".

وبينما كانتا تطرقان الباب، سمعتا ضحكات تتردّد في الغرفة، كانت ضحكات خافتة وبغيضة، ذكّرت جينيا برودريغوس. سمعتا خطوات تتجه نحو الباب، فُتح الباب، لكنْ؛ لم يكن هناك أحد.

"أ تسمحون؟" صاحت أميليا. وكما حزرت جينيا، فقد كان هناك رودريغوس، ممدّد على الأريكة، ومتّكئ على الحائط تحت الضوء الخافت. ثمّ هناك شاب أشقر، يقف وسط الغرفة، كان جندياً، يرتدي قميصاً، وقد لطخ الطين يدَيْه، نظر إليهما باسماً. خفقت رموش جينيا في ذلك الضوء الذي بدا كأنه غاز الإسيتيلين. كانت الستائر واللوحات تغطّي ثلاثة جدران، بينما الرابع كان عبارة عن شبّاك كبير. قالت أميليا لرودريغوس ما بين الجدّ والمزاح:

"إنك تتواجد في كل مكان!". فصافحها، وتمتم:

"الفتاة الأخرى اسمها جينيا يا غويدو".

عندئذٍ مدّ الجندي يده لجينيا، صافحها، وهو يحدّق فيها باسماً. أدركت جينيا أنها بحاجة لأن تكون عفوية، رفعت رأسها، وصارت تتأمّل اللوحات المعلّقة على الجدران فوق مستوى رأس أميليا وغويدو، كانت معظمها لوحات لمناظر طبيعية، أشجار وجبال، ثمّ لمحت بعض البورتريهات. لكن المصباح المعلّق من دون عاكس - كما هو الحال في البيوت التي لم يكتمل بناؤها بعد - كان يضرب في العين رغم ضوئه الخافت. لاحظت - أيضاً - أن تلك الغرفة لا تتوفّر على الستائر، كما في استوديو باربيتا، ما عدا واحدة فقط - ستارة حمراء – وكانت تفصل الغرفة في العمق، فأدركت جينيا أن خلف تلك الستارة غرفة أخرى. سألهما غويدو إذا ما كانتا ترغبان باحتساء شيء ما، وكانت تنتصب على الطاولة الكبيرة قنّينة خمر وبعض الأقداح.

"لقد جئنا؛ لنحتمي من البرد" قالت أميليا "لقد تبلّلنا حتّى الركبة".

ملأ غويدو الأقداح، كان خمراً أحمر، تناولت أميليا قدحاً، وأعطته

لرودريغوس الذي عدّل من جلسته. وبينما كانوا يحتسون الخمر، قالت أميليا لرودريغوس:

"أرجو أن يعذرني غويدو، ولكنْ؛ عليك أن تترك لي السرير؛ كي أدفّئ قدَمَيّ، فالسرير للنساء، يا عزيزي. أ تأتين أنت - أيضاً - يا جينيا؟".

قالت جينيا بأن الخمر يُشعرها بالدفء، ثمّ جلست على أحد الكراسي. عندها خلعت أميليا الحذاء، ونزعت الجاكيت، واستلقت تحت الغطاء. بقي رودريغوس جالساً على طرف الأريكة.

"أكملوا حديثكم" قالت أميليا "كل ما يزعجني هو الضوء فقط". ثمّ مدّت يدها، وأطفأت المصباح. "الآن أفضل. هلا أعطيتُموني سيجارة؟".

بقيت جينيا في الظلام، وقد أذهلها الأمر، ولكنها تنبّهت إلى أن غويدو قصد الأريكة، وسمعت خشخشة عود الثقاب، ثمّ رأت وجهَيْن على ضوء النار، وظلّيهما يتراقصان خلفهما، بعد ذلك خيّم الظلام من جديد، وللحظة لم ينبس أحد ببنت شفة. كان يصل إلى الآذان صوت وقع المطر على زجاج النوافذ، تكلم أحدهم بشيء ما، ولكن جينيا التي لم تستوعب الموقف بعد لم تنتبه لما قيل. ثمّ أدركت أن غويدو كان يدخّن أيضاً، كان يتمشّى في الظلام بهدوء، وقد رأت جمرة سيجارته، وسمعت خطواته. ثمّ سمعت أميليا ورودريغوس، وهما يتشاجران من جديد. شيئاً فشيئاً اعتادت على الظلام، ثمّ بدأت تميّز الأشياء: الطاولة، ظلال الآخرين، وحتّى بعض اللوحات على الحائط، عندئذ شعرت بالطمأنينة. بدأت أميليا تتحدّث مع غويدو عن المرّة التي نامت فيها على ذات الأريكة حينما أصابها المرض:

"يومئذٍ، لم يكن رودريغوس شريكك" قالت له، "وبماذا ينفعك؟ أ تجعله يتعرّى؛ لترسمه؟".

كان كل شيء يبدو غريباً، حتّى إن جينيا قالت:

"يبدو وكأننا في السينما".

"الدخول هنا مجاني" قال رودريغوس من مكانه.

كان غويدو يتمشّى في الغرفة، وأرضية الغرفة ترتجّ بفعل حذائه العسكري الكبير. كانوا يتكلمون جميعهم في الوقت نفسه، وفجأة أدركت جينيا أن أميليا صامتة - كانت ترى سيجارتها - ثمّ صمت رودريغوس أيضاً. صوت غويدو - فقط - ملأ الغرفة، وهو يشرح عن شيء ما، لم تفهمه؛ لأنها كانت تنصت إلى ما يحدث على الأريكة. تخلّلت الأضواء الليلية عبر زجاج النوافذ، و بدا كأنه انعكاس المطر، بينما تصل إلى الأسماع وقع حبات المطر وجريان الماء فوق الأسطح وفي الميازيب.

وفي كل مرّة يتوقّف المطر، ويكفّ الآخرون عن الحديث يبدو الطقس أشدّ برودة، عندئذٍ تبحلق جينيا عينَيْها؛ لتُميّز سيجارة أميليا.

-٦-

افترقتا في الشارع، أمام الباب، بعد أن توقّف المطر. كانت تتراءى لجينيا تلك الغرفة القذرة التي تتقاطر فيها بعض حبات المطر على ضوء المصباح الذي كان غويدو يشعله بين حين وآخر؛ ليسكب النبيذ، أو ليبحث عن شيء ما. ثمّ تذكّرت كيف كانت أميليا تغطّي وجهها، وتنادي من على الأريكة بإطفاء الضوء، بينما كان رودريغو متكوّراً دون حراك جنب الحائط، عند قَدَمَيْها.

- "أليس من أحد ينظّف الغرفة لهؤلاء الاثنَيْن؟" قالت جينيا في نفسها، بينما كانت تعود وحدها إلى البيت.

قالت أميليا إن غويدو يبالغ بثقته برودريغوس؛ إذ يترك له مفتاح الاستوديو.

- "هل غويدو هو مَن رسم تلك اللوحات؟ لو كنتُ مكانه، لخشيت أن يبيعها هذا البرتغالي، بعد أن يؤجّر الغرفة لأحد ما".

"أكنتِ تعملين كموديل لغويدو؟" سألت جينيا.

حكت لها أميليا كيف تعرّفت على رودريغوس، بينما كانتا تتمشّيان، وكان ذلك في صباها حينما كانت تعمل كموديل لأحد الرسّامين. كان رودريغو يتواجد هناك، كما الحال الآن مع غويدو، كما لو أنه في بار،

يجلس في الاستوديو، وينقل نظره بين أميليا والرسّام دون أن يتفوّه بشيء. منذ ذلك الوقت، وهو يضع ربطة العنق البيضاء ذاتها. وكان يفعل الشيء ذاته مع موديل أخرى، كانت هي تعرفها.

- "ولكنْ؛ ألا يرسم هو أيضاً؟" سألت جينيا.

"وأي موديل تعرض جسدها أمام هذا البائس؟".

كانت جينيا تودّ أن ترى لوحات غويدو مرّة أخرى، وقد أدركت أن بوسعها رؤية الألوان جيداً في النهار فقط. لو كانت تعلم أنها لن تجد رودريغوس؛ لذهبت وحدها، كانت تتخيّل نفسها، وهي تصعد السلّم، تطرق الباب، وتلتقي غويدو بملابسه العسكرية تلك، وتضحك بوجهه لكسر حاجر الصمت. أجمل ما في ذلك الرسّام أنه لا يبدو رسّاماً. تذكّرت جينيا كيف صافحها باسماً، ومشجّعاً إياها على الدخول، ثمّ تذكّرت صوته في ظلام الغرفة، ووجهه حينما كانت يُنير الضوء، كان ينظر إليها، كما لو أن رودريغو وأميليا ليسا هناك. ولكنْ؛ الآن غويدو غير موجود، ويجب عليها أن تُحسن التصرف مع الآخر. في اليوم التالي وبينما كانتا في البار، سألت أميليا فيما إذا كان غويدو موجوداً يوم الأحد.

"ذات يوم، كان بوسعي الإجابة عن سؤال كهذا" قالت أميليا "ولكني لم ألتق به منذ وقت طويل".

"قال لي رودريغوس إن بوسعي المجيء إلى الاستوديو متى شئتُ".

"ما هذا الذي أسمع؟!" أجابت أميليا.

مرّت أيام، ولم يأت رودريغوس إلى البار، فقالت أميليا:

"أ تراهنين أنه ينتظر مجيئنا نحن لزيارته في الاستوديو، الآن وقد أصبح لديه سرير، حتّى يحتفي بنا عنده؟".

"يا للماكر!". أجابت جينيا.

وبعد أن فكّرت قليلاً، أدركت جينيا أن ما قامت به أميليا حين تمدّدت على السرير، وأطفأت الأضواء بحضور الآخرين لم يكن تصرفاً أحمقاً جداً؛ إذ لم يكترث غويدو، أو رودريغوس للأمر. لكن ما كان يعذبها هو التفكير بما قد فعلت أميليا في السابق فوق هذا السرير، حينما كانت الغرفة لغيويدو فقط.

"كم عمر غويدو؟" سألت جينيا.

"إنه بعمري".

ولم يأت رودريغوس - بعدُ - للبار، وذات صباح، خرجت جينيا لقضاء حاجة ما، ومرّت بالشارع الذي مرّت به في الليلة السابقة، رفعت رأسها، وتعرّفت على واجهة الاستوديو المربّعة، ودون أن تفكّر في الأمر، صعدت السلّم - بدا أنه لا نهاية له - ولكنْ؛ حينما وصلت إلى الطابق الأخير، وجدت أمامها عدّة أبواب، ولم تتعرّف على باب الاستوديو. أدركت أن غويدو لم يكن مشهوراً، فليس هناك ولا حتّى يافطة، تحمل اسمه، وبينما كانت تنزل السلّم، فكرت بحنو بالمصباح الذي رأته ذلك المساء، والذي قد يكون مصدر عذاب، بالنسبة لرسّام.

حينما التقت أميليا، لم تكلّمها عن زيارتها تلك. وذات يوم وبينما كانتا تتبادلان أطراف الحديث، سألتها جينيا لماذا يصبح الإنسان رسّاماً

"لأن هناك مَن يبتاع اللوحات" أجابت أميليا.

"ولكنْ؛ لا يشتري الجميع اللوحات" قالت جينيا "وماذا عن الرسّامين الذين لا يبتاع أحد لوحاتهم؟".

"إنها مسألة أذواق، يا عزيزتي" قالت أميليا "وهؤلاء الرسّامون يُقاسون الجوع، بلا شكّ".

"أظنّهم يرسمون؛ لأنهم يستمتعون بذلك" قالت جينيا.

"ما هذا الذي تقولين!" ردّت أميليا "أ تقومين أنت بخياطة ثوب، ثمّ لا ترتدينه؟! أظن أن رودريغوس هو أكثرهم مكراً، فهو يدّعي أنه رسّام، لكنْ؛ لم يره أحد يُمسك الفرشة بيده قطّ".

وفي ذلك اليوم، كان رودريغوس جالساً في البار، يرسم بتركيز عال في دفتر جيب.

"ماذا تفعل؟" سألته أميليا، ثمّ سحبت الورقة من يده. جينيا - أيضاً - نظرت إلى الورقة بفضول كبير، لكنهما لم تجدا سوى تخطيطات، تبدو كأنها الشعب الهوائية.

"ما هذا؟ أ هي نبتة خسّ؟!" قالت أميليا.

لم يجب رودريغوس بشيء، عندئذٍ تصفّحتا دفتر الجيب، فوجدتا رسوماً كثيرة، بعضها يشبه بقايا نباتات، وأحياناً كانت هناك وجوه، بلا أعين، لم تكن تلك سوى تخطيطات، في حين يصعب تمييز بعضها، فيما إذا كانت وجوه أم مناظر طبيعية.

"أظنها أشياء رآها ليلاً تحت ضوء ضئيل" صرّحت أميليا.

ضحك رودريغوس، فيما انتاب جينيا الشعور بالحنو، لا الحنق.

"إنها خالية الجمال" قالت أميليا "لو أنك ترسم لي لوحة هكذا، لما كلّمتكَ قطّ".

تطلّع إليها رودريغوس دون أن يُجيبها.

"أظنكَ لا تستحقّ أن تجلس موديلاً أمامك" أضافت أميليا "وأين ستجد الموديل؟ في أي مكان؟".

"أنا لا أبحث عن موديل" أجاب رودريغوس "أنا أحترم الورقة".

عندها قالت له جينيا إنها تودّ رؤية لوحات غويدو، فوضع رودريغوس الدفتر في جيبه، وأجابها:

"تحت أمرك، سيدتي".

اتّفقتا على الذهاب يوم الأحد، واضطُرّت جينيا ألّا تكمل صلاة القداس؛ لكيلا تتأخّر عن الموعد. اتّفقتا أن تلتقيا عند البوابة، لكن جينيا لم تجد أحداً، فصعدت السلّم. وجدت نفسها مجدداً حائرة أمام أبواب الطابق الأخير الأربعة، ولم تستطع أن تتّخذ أي قرار، فنزلت حتّى منتصف السلّم، ثمّ أدركت أنها تقوم بحماقة أخرى، فعادت، وصعدت السلّم. وقفت، وانحنت تتنصّت أمام الباب الأخير، في تلك الأثناء، خرجت امرأة مبعثرة الشعر من أحد الأبواب، وكانت ترتدي مفضلة، وتحمل الدلو. تسنّى لجينيا أن ترفع رأسها قبل أن تراها المرأة، ثمّ سألتها عن بيت الرسّام، لكن المرأة لم تلتفت إليها، ولم تجبها، وسلكت الممرّ. احمرّ وجه جينيا،

وصارت ترتجف، كتمت أنفاسها حتّى ساد الصمت، ثمّ ركضت، ونزلت السلّم. بقيت تتمشّى أمام البوابة ذهاباً وإياباً، وكان بعض الأشخاص الذين يدخلون ويخرجون ينظرون إليها باستغراب، حتّى إن شابا جرّاراً، كان يحدّق بها، وهو متّكئ على باب المحل. فكّرت بأن تسأل البواب عن الاستوديو، ولكنْ؛ بعد ذلك الوقت كله، كان من الأفضل أن تنتظر أميليا. حدث ذلك كله عند منتصف النهار، والأسوأ من ذلك كله هو أنها لم تكن على موعد مع أميليا في عصر ذلك اليوم، لذلك فقد تبقى وحدها طوال الوقت. كل شيء يسير عكس رغبتي، فكّرت. في تلك الأثناء، خرج رودريغوس من البوابة، ولوّح لها.

"إن أميليا فوق" قال ببرودة "وتطلب منك المجيء".

صعدت جينيا معه دون أن تتفوّه بكلمة. كان الباب هو الأخير، ولم تسمع جينيا شيئاً حينما أنصتَتْ. كانت أميليا مستلقية على الأريكة بلا اكتراث، كما لو كانت في بار.

"لماذا لم تصعدي؟" قالت لجينيا بكل هدوء.

فوصفت جينيا تصرّفها بالأحمق، لكن أميليا ورودريغوس ادّعيا أنهما كانا واثقين من أنها ستصعد للاستوديو، حتّى أصبح عسيراً على جينيا أن تتشاجر معهما، ولم يكن بوسعها القول إنها تنصّتت على الباب؛ لأن ذلك كان أسوأ لها. ولكنْ؛ لمّا رأتهما مترنّحين هكذا، أدركت أن الأريكة - ربّما - شهدت أشياء كثيرة. لعلّهما يتصوران أنني حمقاء، قالت في نفسها، وحاولت أن تميّز فيما إذا كان شعر أميليا مبعثراً، ثمّ نظرت تستقرئ عينَي الآخر. كانت قبّعة أميليا - تلك القبّعة ذات شبك - مرمية على الطاولة،

وكان رودريغوس واقفاً، وقد اتّكأ على الشبّاك، وهو يحدق بالقبّعة بنظرة ساخرة.

"مَن يدري إذا ما كانت القبعة ذات الشبك تليق بجينيا" قالت أميليا فجأة.

كشّرت جينيا، ودون أن تتحرك من مكانها، صارت تتأمّل اللوحات فوق رأس أميليا، لكن تلك الألوان الصغيرة ما عادت تُثير اهتمامها. كانت تشمّ عطر أميليا وسط روائح تلك الغرفة الباردة المغلقة، لكنا لم تعد تذكر كيف كانت رائحة الغرفة في المرّة السابقة. بدأت تتمشّى في الغرفة، وتتأمّل اللوحات على الجدران، تحدّق بلوحة لمنظر طبيعي، أو لطبق فواكه، تتوقّف عاجزة عن إبعاد ناظرها عن اللوحة، بينما الصمت يسود المكان. كانت هناك بعض اللوحات لنساء، لم تتعرّف على وجوههنّ، وصلت حتّى نهاية الغرفة، ووجدت نفسها أمام الستارة، كانت من القماش السميك المهترئ، وتغطّي الجدار كله. تذكّرت أن غويدو كان قد جلب الأقداح من خلف هذه الستارة، فهمست:

"أ بوسعي الدخول؟" على أن الاثنَيْن لم يسمعاها؛ لأن رودريغوس كان يتحدث عن شيء ما، أزاحت جينيا الستارة، وتطلّعت، لكنها لم ترَ سوى سرير مبعثر، وحوض مغسلة. كان عطر أميليا قد انتشر هناك أيضاً، وتنبّهت جينيا لذلك، بينما كانت تقول في نفسها كم هو جميل أن تنام وحدها في هذا الزاوية المخفية.

-٧-

"أظن أن رودريغوس يتحرّق رغبة؛ لكي تجلسي كموديل أمامه" قالت جينيا، بينما كانتا تعودان إلى البيت.

"ماذا تقصدين؟" سألت أميليا.

"أ لم تلاحظي كيف يدور حولك، وينظر لساقيك؟".

"لينظر كيفما شاء" أجابت أميليا.

"أ لم تعملي يوماً كموديل لغويدو؟"

"مطلقاً" أجابت أميليا.

وبينما كانتا تمرّان بالساحة، شاهدتا روزا تمرّ من هناك، وكانت تسير يداً بيد مع شخص غير بينو. كانت ملتصقة به، كما لو أنها مُعاقة، فقالت جينيا:

"انظري".

"لا بد أنهما يخشيان من أن يفقد أحدهما الآخر. كل شيء مسموح يوم الأحد" قالت أميليا.

"ولكنْ؛ ليس في الساحة. كم هما مضحكان!" قالت جينيا.

"هذا أمر تابع للرغبة" قالت أميليا "حينما تكون الفتاة حمقاء، وتعتريها رغبة ما، فإنها تفعل هذا، بل وأكثر".

عرفت جينيا من رودريغوس أن غويدو غالباً ما يخرج في رخصة من الوحدة العسكرية، ويأتي العصر إلى الاستوديو؛ ليزاول الرسم.

"لو كان بوسعه، لزاول الرسم حتّى خلال الليل" قال لها رودريغوس "إنه يفقد نفسه أمام اللوحة، كالثور أمام اللون الأحمر، لذلك يجب أن تغطى عيناه". وجعل يضحك ضحكته المثيرة للاشمئزاز تلك.

وذات عصر، ذهبت جينيا إلى الاستوديو، دون أن تُخبر أحداً، بعد أن تأكّدت أن رودريغو كان في البار. صعدت السلّم هذه المرّة، وقد ازدادت دقّات قلبها، ولكنْ؛ لسبب آخر، على أنها لم تتردّد أمام الباب، وقد وجدته مفتوحاً.

"تفضّل" صاح غويدو.

دخلت جينيا، ولفرط ارتباكها، فقد أقفلت الباب خلفها، توقّفت لاهثة الأنفاس تحت أنظار غويدو. بدت الغرفة غارقة بالضوء الأحمر، وقد تخلّل ضوء الشمس الستارة المخملية، ولعلّه كان تأثير اللحظة. تقدم غويدو خافضاً رأسه، وسألها:

"ماذا هناك؟".

"أ لم تعرفني؟".

يرتدي غويدو كعادته قميصاً وسروالاً رمادياً مائلاً للأخضر.

"أ جاءت معك الفتاة الأخرى؟" قال لها. عندئذٍ قالت له جينيا إنها أتت وحدها، وأن أميليا كانت في البار.

"قال لي رودريغوس إن بوسعي لمجيء لرؤية اللوحات، وقد جئنا ذات صباح، ولكن حضرتك لم تكن موجوداً". قالت جينيا.

"اجلسي، إذنْ؛ حتّى أُنهي ما بيدي".

عاد قرب النافذة، وجعل يقشط قطعة من الخشب بالسكّين، في حين جلست جينيا على الأريكة الواطئة جداً، حتّى بدا لها أنها تسقط من شاهق. كانت مرتبكة من معاملة غويدو، وتعتريها رغبة في الضحك، وهي تفكر أن كل الرجال، رسّامون أو ميكانيكيون كانوا، يبدؤون بالطريقة ذاتها. شعرت بالراحة، وهي تغمض عينَيْها في ذلك الضوء الخافت. قال غويدو شيئاً ما عن أميليا، فأجابت جينيا

"نحن صديقتان، ولكنْ؛ أنا أعمل في محل خياطة".

انحرف الضوء عن الغرفة أكثر، فنهضت جينيا، ودارت رأسها، وجعلت تتأمّل إحدى اللوحات، كانت لوحة من قطع البطّيخ التي تبدو شفّافة كالماء. تنبّهت جينيا أن في اللوحة انعكاساً لضوء وردي، ولكنه كان من ألوان اللوحة، وقد ذكرها باللون الأحمر الذي كان يتخلّل الستارة حين دخولها. أدركت عندها أن من الضروري الالتفات لهذه التفاصيل عند الرسم، لكنها لم تجرؤ على قول ذلك لغويدو. جاء غويدو خلفها، وجعل ينظر معها إلى اللوحات.

"إنها أعمال قديمة" يقول بين حين وآخر.

"لكنها جميلة" تقول جينيا، وينبض قلبها بقوّة، وهي تتوقّع بين لحظة وأخرى أن تحطّ يد غويدو عليها. "إنها جميلة" قالت، ثمّ خطت خطوة جانبية، في حين بقي غويدو يتأمّل اللوحات دون أن يتحرّك. وبينما يُشعل غويدو سيجارته، بدأت جينيا تسأله، وهي متّكئة على الطاولة عن لوحات النساء، وفيما إذا كان قد رسم لوحة ما لأميليا.

"إنها تعمل كموديل" قالت.

بدا على غويدو الاستغراب، وقال إنه لم يكن يعرف بذلك.

"لقد رأيتُها بنفسي" قالت جينيا.

"هذا خبر جديد، بالنسبة لي" أجاب غويدو "وعند أي رسّام كانت تعمل؟".

"لا أعرف اسمه، ولكنها تعمل كموديل" قالت جينيا.

"وهل تتعرّى؟" سأل غويدو.

"أجل".

عندها ضحك غويدو "لقد وجدت المهنة المناسبة لها، لطالما أعجبها أن تُبرز ساقيها. وهل أنت موديل أيضاً؟".

"كلا، أنا لديّ عمل" أجابت جينيا بسرعة "أنا أعمل في محل خياطة".

لكنها كانت شعرت بالإهانة؛ لأن غويدو لم يطلب منها أن يرسم لها لوحة. إذا كان بروفيلها قد أعجب باربيتا، فلم لا يعجب غويدو، فكّرت جينيا.

"إن أميليا تروي الكثير من الحكايات، ويروق لها أن تدّعي الكثير من الأشياء. ولا أعرف ما تبغي من هذا كله. يوماً ما كانت صحبتها بهيجة" قالت جينيا.

فأجابها غويدو باسما

"لو تعلمين كم من المرح شهدنا في هذا الاستوديو!".

"ولا يزال المرح مستمراً" قالت جينيا "إن أميليا ورودريغوس لا يضيعون الوقت سدى".

نظر إليها غويدو بين الجدّ والهزل، كان قد حلّ المساء، وبالكاد يميّز ملامحها. انتظرت جينيا إجابة ما، لكنْ؛ لا جدوى، وبعد صمت طويل، قال غويدو

"إنك تعجبيني، يا جينيا. تعجبيني؛ لأنك لا تدخّنين، فالفتيات اللواتي يدخّنّ، لديهنّ عقدة ما".

"لا أشمّ في هذا الاستوديو رائحة الأصباغ التي عادة ما تنتشر في استوديوهات الرسّامين" قالت جينيا.

نهض غويدو، وارتدى جاكيته

"إنه التربنتين، له رائحة طيبة". لم تشعر جينيا كيف حصل ذلك، ولكنها وجدته أمامها فجأة ، ثمّ شعرت بيده تمسّد رقبتها، بينما هي أغمضت عينَيْها كالحمقاء، وقد اصطدم وركها بالطاولة. احمرّ وجهها كجمرة، وهي تشعر بغويدو يلتصق بها، ويهمس:

"إن عطر إبطيك أطيب من رائحة التربنتين".

فجأة دفعته جينيا بقوّة، فتحت الباب، وهربت راكضة، ولم تقف إلا عند محطة الترام. ذهبت بعد العشاء إلى السينما؛ لكي تتحاشى التفكير بعصر ذلك اليوم، ولكنها كلّما فكّرت بالأمر، أدركت أنها ستعود - حتماً - إلى الاستوديو، لذلك كانت تشعر بالقنوط؛ لأنها كانت تعرف أنها قامت بتصرّف تافه، لا يجب على امرأة بعمرها أن تقوم به. كانت تعرف أن غويدو قد شعر بالإهانة جراء تصرّفها، وأنه لن يحتضنها مجدداً. لو كان بوسعها للكمت نفسها، لأن غويدو كان يصيح خلفها، بينما هي تنزل السلّم ولم تسمع فيما إذا كان يطلب منها الرجوع. قضت المساء تحت ظلام السينما، وهي تفكر بحسرة بأن أي قرار ستتخذه الآن لن يثنيها عن العودة مرّة أخرى.

أدركت أن رغبتها الجامحة في أن تراه، وتعتذر منه، وتقول له إنها تصرّفت بحماقة كانت ستجنّنها. لم ترجع جينيا في اليوم التالي، ولكنها غسلت إبطَيْها، وعطّرت جسمها بالكامل. وشعرت أن الذنب ذنبها؛ لأنها أثارت فيه الرغبة، ولكنها - أحياناً - تشعر أن تصرّفها كان شجاعاً؛ لأنها فهمت - الآن - ما الذي يُثير رغبة الرجال.

"هذه هي الأشياء التي تُجيدها أميليا" فكّرت في نفسها "ولكنها منحت نفسها حتّى اكتشفت ذلك".

التقت أميليا ورودريغوس في البار، وشعرت بالخوف حال دخولها، فيما إذا كانا يعرفان كل شيء؛ لأن أميليا نظرت إليها بطريقة غريبة، ولكنْ؛ بعد لحظات، شعرت جينيا بالسكينة، وادّعت أنها تشعر بالتعب والملل، وكانت تستمع لرودريغوس، وهو يتفوّه بتفاهاته المعتادة، بينما هي تفكر بصوت غويدو. بدأت - الآن - تفهم أشياء كثيرة، مثلاً لماذا يميل رودريغوس نحو أميليا حينما يتحدّث، ولماذا يغمض عينَيْه كقطٍّ حين تفهم أميليا مقصده.

"إن ذوق أميليا يشبه ذوق الرجال" فكّرت جينيا "إنها أسوأ من غويدو" وكادت تفلت منها ضحكة، كما يحصل حين يكون الشخص وحده.

وفي اليوم التالي، عادت إلى الاستوديو. في صباح ذلك اليوم، أخبرتها السيدة بيتشا باقتضاب أن بوسعها ألا تأتي عصراً؛ لأنه كان يوماً احتفالياً. عند عودتها إلى البيت، وجدت سفيرينو يغيّر ملابسه استعداداً للذهاب إلى الحفل، كان حفلاً وطنياً، وقد عُلّقت الأعلام في كل مكان، فسألته جينيا

"مَن يدري إن كانوا سيمنحون الجنود رخصة الخروج اليوم".

"كان من الأفضل أن يتركوني أنعم بالنوم" قال سفيرينو.

لكن جينيا كانت مبتهجة، ولم تنتظر أن تمرّ بها أميليا، أو روزا، فخرجت على عجل. عند وصولها إلى بوابة عمارة الاستوديو، انتابها الندم؛ لأنها لم تصحب أميليا معها. سأبحث عنها قليلاً، قالت في نفسها، ولمّا لم تجدها، صعدت السلّم، ولم تتوقّع أن تجدها هناك؛ لأنها كانت تعرف أنها في البار في ذلك الوقت. وعند وصولها إلى الباب، توقّفت قليلاً؛ لتلتقط أنفاسها، وإذا بصوت رودريغوس يصل إلى مسامعها.

-٨-

كان الباب مفتوحاً، وبدا عبره الشبّاك يلوح في الهواء، وكان صوت رودريغوس يتردّد بقوّة. مدّت جينيا رأسها، وشاهدت غويدو مستنداً على الطاولة، وهو يُنصت.

"أ تسمحون لي؟" قالت بصوت خفيض إلا أنهم لم يسمعوها، كان غويدي يرتدي قميصاً رمادياً مائلاً للأخضر، ويبدو كأنه عامل، التف نحوها دون أن يراها.

"جئتُ أبحث عن أميليا" قالت جينيا بهمس.

توقّف رودريغوس عن الكلام، وتطلّع إليها، فرأته جينيا جالساً على الأريكة، وقد شبك يدَيْه على ركبته.

"هل أميليا هنا؟" سألت.

"هذا ليس باراً، يا عزيزتي" قال رودريغوس.

وقفت جينيا تتطلّع إلى غويدو، كان يسند يدَيْه على الطاولة خلف ظهره، وقد خزر عينَيْه.

"لم تكن تأتي هذه الفتيات كلهنّ في السابق" قال غويدو، ثمّ توجّه لرودريغوس "أ أنت مَنْ يجذبهنّ؟".

أحنت جينيا رأسها، وقد أدركت من نبرته تلك أنه لم يكن غاضباً.

"تقدّمي" قال لها "لا تكوني حمقاء".

قضت عصر ذلك اليوم أجمل لحظات حياتها، وكل ما كانت تخشاه هو أن تأتي أميليا، وتوبّخها، لكنْ؛ كان الوقت يمرّ وغويدو ورودريغوس مستمرّان في نقاشاتهما، وبين فينة وأخرى، يرمقها غويدو بنظرة، ويتبسم، يدعوها هي أيضاً أن تصف رودريغوس بالبلادة. كان نقاشهما حول الرسم، وكان غويدو يناقش بضراوة، ويقول بأن الألوان صُنعت للرسم، بينما رودريغوس الذي يشبك يدَيْه على ركبته، يصرّ - أحياناً - على رأيه، ويلوذ بالصمت أحياناً أخرى، أو يضحك كقطٍّ خبيث. لم تفهم جينيا شيئاً من الحوار، ولكنْ؛ يسعدها الاستماع لغويدو، كان صوته مثيراً، وكانت تكتم أنفاسها حينما تحدّق في عينَيْه. كانت أشعّة الشمس لا تزال فوق الأسطح، وكانت جينيا جالسة جنب الشبّاك تدير طرفها بين السماء تارة وبين هؤلاء الاثنَيْن تارة أخرى، وكانت ترى الستارة في عمق الغرفة، وتفكّر في نفسها أنه من الجميل أن تختبئ خلفها دون علم أحد، وتتجسّس على مَن في الغرفة، بينما هو يظن نفسه وحيداً.

قال غويدو في تلك الأثناء

"الجوّ بارد".

"أ لديك شاي؟" سأل رودريغوس.

"لديّ شاي ومِطبخ، تنقصنا - فقط - الباستا، ستعدّها لنا اليوم جينيا" قال غويدو، ثمّ التفت إليها "المطبخ خلف الستارة".

"ربّما من الأفضل أن تذهب جينيا لشراء البسكويت" قال رودريغوس.

"مطلقاً، إذا أردت، فاذهب أنتَ لشرائها، أو لستَ الرجل!".

وبينما عاد الاثنان لحوارهما، جعلت جينيا تبحث عن إبريق الشاي والأقداح وعلبة الشاي خلف الستارة. وضعت الماء على النار، غسلت الأقداح في المغسلة تحت ذالك الظلام الذي بالكاد تضيئه النار. كانت تسمع صوتهما خلفها، ولكنْ؛ يبدو لها أنها وحيدة في تلك الزاوية، كما لو كانت في بيت وحدها، وكان الهدوء يُغريها بالعزلة والتأمّل. كانت - بالكاد - ترى السرير المبعثر في تلك الزاوية الضيقة بين الممرّ والجدار، فتراءى لها خيال أميليا ممدّدة فوق ذلك السرير.

حينما خرجت، تنبّهت أن الاثنَيْن يتطلّعان إليها باستغراب. نزعت قبّعتها، ورمت بشعرها خلف ظهرها، ثمّ تناولت صحناً كبيراً ملطّخاً بالألوان، كان على الشبّاك، لكن غويدو فهم ما تريد، فبحث في الخزانة، وناولها صحناً نظيفاً. وضعت جينيا في ذلك الصحن الأقداح، وهي لا تزال مبلّلة، ثمّ عادت إلى المطبخ، ووضعت الشاي. وبينما كانوا يحتسون الشاي، حدّثهم غويدو عن أن تلك الأقداح كانت هدية فتاة مثل جينيا، كانت تأتي عنده؛ لكي يرسمها.

"وأين اللوحة؟" سألت جينيا.

"إنها لم تكن تعمل كموديل" قال غويدو ضاحكاً.

"هل ستبقى في العسكرية لوقت طويل؟" سألت جينيا بينما كانت ترتشف الشاي.

"لسوء حظّ رودريغوس، فإني سأنهي الخدمة في الشهر القادم" أجاب غويدو، ثمّ أضاف "إذنْ؛ أنت لستِ غاضبة مني؟".

لوت جينيا فمها، وابتسمت بهدوء، وهزّت رأسها.

"لا داعي للرسميات بيننا، إذنْ" قال غويدو.

ثمّ قضوا أمسية جميلة بعد العشاء.

ومرّت أميليا على جينيا في البيت، وكانت هي الأخرى مبتهجة.

"حينما يكون يوماً احتفالياً، فإن الناس لا تفعل شيئاً" قالت أميليا "أنا سعيدة جداً".

خرجتا تتمشّيان سوية، وكانتا تمزحان ببلاهة.

"ماذا فعلت اليوم؟" سألت أميليا، بينما كانتا تتمشّيان.

"لم أقم بشيء مميّز" أجابت جينيا " أ نذهب للرقص؟".

"لقد انقضى الصيف كما ترين، والوحل في كل مكان".

فجأة وإذا بهما في الشارع الذي فيه استوديو غويدو.

"لا أريد الصعود هناك" قالت جينيا "كفانا رسّامين".

"ومَن قال لك إننا سنصعد؟ نحن حُرّتان هذا المساء".

وصلتا عند الجسر، وجعلتا تتطلّعان إلى سلسلة الأضواء التي يعكسها الماء.

"لقد رأيتُ باربيتا، وسألني عنك" قالت أميليا.

"أ لم يسأم من رسمك؟" قالت جينيا.

"بل التقيتُه في البار" أجابت أميليا.

"ألا يعطيني التخططيات التي رسمها لي؟" سألت جينيا.

وبينما كانت أميليا تنظر إليها كانت هي تفكّر في شيء آخر.

"ماذا كنتُم تفعلون حينما ترتادون استوديو غويدو في العام الماضي" سألت جينيا.

"وماذا عسانا نفعل! كنا نكسر الأقداح، ونضحك" أجابت أميليا.

"وهل تشاجرتما بعد ذلك؟".

"ما الذي تقولين؟! بل قام هو بإقفال الاستوديو، وذهب إلى الريف، ولم نعرف عنه شيئاً". أجابت أميليا.

"وكيف تعرّفت عليه؟".

"أتعتقدين أنني أذكر ذلك! ولكنْ؛ أنسيت أنني موديل؟".

كان عسيراً على جينيا أن تتشاجرا في ذلك المساء، وكان الطقس بارداً فوق الجسر. أشعلت أميليا سيجارة، واتّكأت على حاجر الجسر.

"أ تدخّنين في الشارع أيضاً؟" سألت جينيا.

"وبماذا يختلف عن التدخين في البار؟" ردّت أميليا.

لم تذهبا إلى أي بار؛ لأن أميليا كانت قد ملّت البارات التي ترتادها طوال اليوم. ثمّ عادتا إلى البيت، وتوقّفتا أمام السينما، وبينما كانتا تتطلّعان إلى الصور، وإذا بسفيرينو يخرج، وكان وجهه حاداً متجهّماً. سلّم على أميليا بإيماءة من برأسه، ثمّ عاد أدراجه، وجعل يتحدّث معهما، ولم يخطر لجينيا أن رأته مهذباً هكذا، بل وبالغ بإعجابه بقبّعة أميليا ذات الشبك. روى لهما الفلم؛ لكي يسلّيهما، وكانت أميليا تضحك، ولكنْ؛

ليس كما تفعل في البار حينما يمازحها النُّدُل بشيء ما، كانت تضحك بفم مفتوح، وقد برزت أسنانها، كما يحصل بين الفتيات، وكما يفعلنَ في الصغر. كان صوتها أجشّ، لا بد أنه بسبب التدخين، فكّرت جينيا. اصطحبهما سفيرينو حتّى البار، ودفع لهما القهوة، ثمّ قال لأميليا إنهما لا بد أن يلتقيا ذات أحد.

"أ نذهب للرقص؟" سألت أميليا.

"بالتأكيد" أجاب سفيرينو.

"وهكذا ستأتي جينيا معنا" قالت أميليا. عندها كادت أن تفلت من جينيا ضحكة.

صحبا أميليا حتّى بوابة العمارة، وحينما دخلت أميليا، وأوصدت خلفها البوابة عادا سوياً إلى البيت. إن غويدو بسنّ سفيرينو تقريباً، فكّرت جينيا، وكان من الممكن أن يكون هو أخي. يا للحياة! قالت في نفسها، لو أن غويدو الذي لا أعرفه يأخذني تحت ذراعه، ونقف في كل ركن، ويقول لي إنني امرأة، ثمّ نحدّق في أعين بعضنا! ولكنْ؛ أنا لستُ بالنسبة له إلا جينيا الصغيرة. لا أظن أنه من الضروري أن يعرف الشخصان بعضهما؛ ليولد الحب. كانت تفّكر بذلك، بينما تسير جنب سفيرينو، وقد انتابها الشعور، بأنها لا تزال طفلة. ثمّ سألته فجأة فيما إذا كانت أميليا تُعجبه، وتنبّهت بأنها تفوّهت بشيء، لم يتوقّعه سفيرينو.

"ماذا تفعل خلال النهار؟" سألها سفيرينو.

"إنها تعمل كموديل" أجابت.

لم يفهم سفيرينو ما عَنَتْهُ، وجعل يقول بأنها - في الحقيقة - أنيقة

جداً، عندئذٍ غيّرت جينيا مسار الحديث، وسألته في ما إذا كان قد حلّ منتصف الليل.

"كوني حذرة" قال سفيرينو "إن أميليا فتاة ذكية، وسيكون دورك معها دور الفتاة الحمقاء".

فقالت له جينيا إنهما نادرا ما تلتقيان، فكفّ سفيرينو عن الحديث، ثمّ أشعل سيجارة حتّى وصلا إلى بوابة العمارة، كما لو أن كلاً منهما جاء وحده. لم تنم جينيا تلك الليلة، وكانت تُثقلها الأغطية، لكنها فكّرت بأشياء كثيرة، وكلّما تقدم الليل، تأخذها الأفكار إلى منحى غريب. تخيَّلت أنها وحيدة في ذلك السرير المبعثر في زاوية استوديو غويدو، وأنها تسمعه من وراء الستارة، وأن تعيش معه تقبّله، وتطبخ له. مَن يدري أين يأكل غويدو قبل أن يصبح جندياً. ثمّ صارت تفكّر أنها ما كانت تظن بأن ترتبط بجندي، ولكن غويدو قد يبدو جميلاً بالملابس المدنية، وهو الأشقر القوي، ثمّ جعلت تستذكر صوته الذي كانت قد نسيته، في حين تذكر بقوّة صوت رودريغوس. لا بد أن تراه، ولو - فقط - للاستماع لصوته. وكلّما فكّرت أكثر، زاد استغرابها، كيف أن أميليا ارتبطت برودريغوس بدلاً عن غويدو. كانت مغتبطة؛ لأن أميليا وغويدو لم يمارسا الحب في تلك الأيام حينما كانوا يحطّمون الأقداح. كانت لا تزال يقظة عندما رنّ المنبّه، وهي تفكّر بأشياء كثيرة في سريرها الدافئ. وعند أول خيوط ذلك الصباح، انتاب جينيا الحزن لقدوم الشتاء، ولأنها لن ترى ألوان الشمس الجميلة. مَن يدري فيما إذا كان غويدو يفكّر بذلك أيضاً، وهو الذي تعني له الألوان كل شيء. يا للروعة، قالت جينيا، ثمّ نهضت من سريرها.

-٩-

وفي ظهر اليوم التالي، مرّت أميليا عليها في البيت، وكان سفيرينو جالساً مع جينيا إلى الطاولة، لذلك لم يتحدّثوا عن أشياء مهمة. وحينما خرجتا إلى الشارع، قالت أميليا إنها كانت عند رسّامة في الصباح، وقد وعدتها بالعمل معها. ثمّ طلبت من جينيا أن تأتي معها؛ لأن تلك الرسّامة البلهاء تريد أن ترسم لوحة لامرأتَيْن متعانقَتَيْن، وهكذا فإن بوسعهما العمل سوياً.

"ولماذا لا تقف أمام المرآة، وترسم نفسها" أجابت جينيا.

"أ تريدينها تقف عارية، وترسم؟" أجابت أميليا ضاحكة.

قالت جينيا إن ليس بوسعها الخروج من محل الخياطة متى شاءت.

"ولكنها ستدفع لنا المال، أ تفهمين؟ ثمّإ العمل على هذه اللوحة سيستمر طويلاً، وإن لم تأتِ أنت، فلن تقبل حتّى بي".

"ألا تكفيها أنت فقط؟" سألتها جينيا.

"إنها تريد امرأتَيْن تتصارعان، أ تفهمين؟ إنها تحتاج لاثنتَيْن، ستكون لوحة كبيرة. يكفي أن نقف، كما لو أننا نرقص".

"أنا لا أريد أن أعرض جسدي" قالت حينيا.

"وممَّ تخشين؟ إنها امرأة هي أيضاً".

"كلا، لن أقبل".

بقيتا تتناقشان حتّى محطّة الترام، وسألتها أميليا لماذا تحرص على أن تخبّئ ما تحت ثيابها، كما لو كانت قدّيس. كانت تتكلّم بغيظ دون أن تنظر إليها، وكانت جينيا تُنصت، ولكنْ؛ حينما قالت إنها قد تتعرّى لو كان باربيتا مَن طلب منها ذلك، ضحكت جينيا بوجهها. افترقتا على زعل، وكان واضحاً أن أميليا قد لا تغفر لها ذلك. ولكن جينيا لم تكترث للأمر. وفي لحظة ما، خامرهما الخوف من أن تهزأ بها أميليا أمام غويدو ورودريغوس، وما كانت تظن أن غويدو طيب لهذا الحد حتّى لا يضحك عليها. لو أراد غويدو، فسأعرض جسدي له؛ ليرسمني، قالت في نفسها. ولكنها كانت تدرك أن جسد أميليا أجمل من جسدها، وأن أي رسّام سيفضّلها عليها؛ لأنها امرأة ناضجة.

وفي وقت متأخّر من ذلك اليوم، مرّت بالاستوديو؛ لتصل قبل أميليا، كان الوقت الذي يتواجد فيه غويدو دائماً، كما قال لها مسبقاً، لكنها وجدت الباب موصداً. فكّرت بأن غويدو قد يكون في البار، مع رودريغوس وأميليا، فتوجّهت إلى البار، وبقيت للحظات تنظر عبر الواجهة الزجاجية، لكنها لم ترَ سوى أميليا التي كانت جالسة تدخّن، وقد أسندت ذقنها على قبضة يدها. يا للمسكينة، قالت جينيا في نفسها، بينما هي عائدة إلى البيت. ثمّ عادت بعد العشاء، ومن الشارع، رأت أن الاستوديو مضاء، فصعدت السلّم مبتهجة، ولكنها لم تجد غويدو. فتح لها رودريغوس الباب، واعتذر منها؛ لأنه كان جائعاً وجعل يأكل. كان واقفاً أمام الطاولة، يأكل لحما مقدّداً، وضعه فوق قطعة من الورق تحت ذلك الضوء الكئيب الذي وجدته في زيارتها الأولى. كان يأكل مثل صبي، ينهش الخبز نهشاً، ولولا وجهه المتجهّم وعيناه الخدّاعتان، لمزحت جينيا معه. سألها إن كان بودّها مشاركته الطعام، لكنها أجابته بالسؤال عن غويدو.

"إن لم يأت، فهذا يعني أنه في الواجب، ويتحتّم عليه البقاء".

إذنْ؛ سأذهب، فكّرت جينيا، لكنها امتنعت عن قول ذلك لرودريغوس؛ لأنه كان يتطلّع إليها بمكر، وكان سيفهم أنها إنما جاءت من أجل غويدو فقط. تأمّلت الغرفة تحت ذلك الضوء، كانت تبدو بائسة، وقد تناثرت النفايات وأعقاب السجائر على أرضيتها، ثمّ سألت رودريغوس إن كان ينتظر أحداً ما.

"أجل" قال، وقد كفّ عن المضغ، لم تجسر جينيا على تركه حتّى حينما أخبرها ذلك، ثمّ سألته إن كان قد رأى أميليا.

"كل ما تقومان به هو أنكما تلاحقان بعضكما" قال لها، وهو يتطلّع إليها، "لا أعرف لمَ ذلك، وكلاكما امرأة!".

"ولماذا برأيك؟" سألته.

"لماذا؟ يجب أن تعرفا أنتما السبب، يجب أن تُدركا ذلك. أ ليست هذه أسرار النساء؟".

سئمت جينيا من ذلك، ثمّ قالت "وهل سألت أميليا عني؟".

"بل هناك ما هو أكثر" قال رودريغوس "إنها تريدك".

فجأة أُزيحت الستارة في عمق الغرفة، وخرجت أميليا، ركضت نحو رودريغوس الذي نهش لقمة، ثمّ دار حول الطاولة كأنما يلعبان على ملاحقة بعضهما. لم تكن أميليا ترتدي القبّعة، وقفت وسط الغرفة، وقد لاح عليها الغضب، وجعلت تضحك، لكنها كانت تضحك بقُبح. ثمّ قالت:

"لم نكن نعلم أنك أنت مَن طرق الباب".

"آه، كنتُما تتناولان العشاء" قالت جينيا.

"عشاء حميمي" قال رودريغوس "ولكنْ؛ معاً نحن الثلاثة سيكون أكثر حميمية".

"أ جئتِ تبحثين عن غويدو؟" قالت أميليا.

"لقد مررتُ هنا للحظة، ولكن روزا تنتظرني، وقد تأخّرتُ عليها".

صرخت أميليا خلفها "توقّفي، أيتها الحمقاء".

"أنا لستُ حمقاء" أجابتها جينيا، ثمّ نزلت السلّم. كانت تظن أن لا أحد يتبعها حينما انعطفت عند الزاوية، ولكنها سمعت خطوات خلفها، وكانت أميليا دون قبّعة.

"لماذا غادرت المكان؟ تراكِ صدّقت ما قاله رودريغوس؟" قالت أميليا.

أجابتها جينيا دون أن تقف "اتركيني، وشأني".

قضت أياما طويلة ودقّات قلبها تتسارع، كلّما تذكرت ذلك الموقف، كما لو أنها لا تزال تركض، وكانت تشدّ قبضتها غيظاً كلّما خطر في ذهنها ذاك الاثنان، هناك في الاستوديو. امتنعت عن التفكير بغويدو، ولا تعرف كيف لها أن تراه، فكانت على يقين أنها خسرته هو أيضا. أنا - حقاً - حمقاء، فكّرت جينيا، لماذا أهرب دائماً؟ لا بد أنني لم أتعلّم - بعد - البقاء وحيدة؛ ليأتوا هم - إذنْ - للبحث عني، إن كانوا يرغبون برؤيتي.

منذ ذلك اليوم، أصبحت أكثر سكينة، كانت تفكّر بغويدو دون مشاعر جيّاشة. وازداد اهتمامها بسفيرينو، والذي حينما كان يُقال له شيء ما،

كان يطيل النظر إلى الأرض دون أن يوافق المتحدّث على ما قال، بل كان يفضّل الصمت. ولم يكن غيباً رغم كونه رجلاً ، في حين كانت هي غبية مثل روزا، بل وأدركت أن الآخرين يعاملونها تماماً مثلها. فكفّت عن طلب الآخرين عند ذهابها للسينما، أو لصالات الرقص، وكانت سعيدة بأن تذرع الشوارع وحدها، بل والذهاب - أحياناً - إلى مركز المدينة. كان حينذاك شهر تشرين الأول، وكانت تستقل الترام في بعض الأماسي، تنزل عند الأروقة، تتجوّل بعض الوقت، ثمّ تقفل عائدة إلى البيت. ولكنها كانت تأمل - دائماً - أن تلتقي غويدو، وكانت تتطلّع بنظرات خاطفة إلى وجوه الجنود. وقد جازفت ذات يوم، وتوجّهت بوجل إلى البار الذي ترتاده أميليا، وقد رأت أناساً كثيرين، لكنها لم ترها. كانت النهارات تمرّ ببطء، لكن البرد يحثّ على البقاء في الدفء، وظنّت جينيا أنها لن تقضي صيفاً آخر مثل الصيف المنصرم.

كنتُ امرأة أخرى، تقول في نفسها، وإلا فليس من المعقول أن أكون بذلك الجنون، ولكنْ؛ لحسن الحظّ، فقد سارت الأمور على ما يرام. وكان مجيء الصيف في السنة القادمة يبدو لها أمراً مستحيلاً، وها هي ترى نفسها تجول في الشوارع وحيدة عند المساء، تذهب من البيت إلى العمل، ومن العمل إلى البيت، في ذلك الجوّ الدافئ، وكأنها امرأة ثلاثينية. ولكن أسوأ ما في الأمر أنها لم تعد تستطيب البقاء في السرير تحت الظلام في تلك النصف ساعة، كما في السابق. وكانت تفكّر بالاستوديو حتّى حينما تعمل في المطبخ، ودائماً ما كان لديها فائض من الوقت؛ لتحدّق في الفراغ. انتبهت - بعد ذلك - أن الوقت الذي مرّ لم يكن سوى خمسة عشر يوماً. كانت تأمل أن يحدث شيء جديد أمام الباب، كلّما خرجت من محل الخياطة، وحين لا تجد أحداً بانتظارها، يجتاحها شعور بأنها

أضاعت ذلك النهار، وأن الغد قد جاء، وكذلك بعد غد، وهكذا ستبقى تنتظر وتنتظر ذلك الشيء الذي لن يجيء أبداً. لم أبلغ - بعد - السابعة عشر من العمر، تقول في نفسها، وأمامي الكثير من الوقت.

لكنها لم تفهم - بعد - لماذا لا تأتي أميليا للسؤال عنها، وقد ركضت وراءها دون قبّعة، أ لعلّها كانت تخشى أن تفضح أمرها؟ وذات يوم، نادتها السيدة بيتشا، وقالت لها إن أحدهم ينتظرها على الهاتف.

"إنها امرأة بصوت رجل" قالت لها.

كانت أميليا على الهاتف.

"اسمعي، يا جينيا، ادّعي أن سفيرينو مريض، وتعالي معنا، هنا غويدو أيضاً، وسنتعشّى سوياً".

"وماذا عن سفيرينو؟" قالت جينيا.

"عودي إلى البيت، اصنعي له الباستا بسرعة، وتعالي. نحن بانتظارك" قالت لها أميليا.

تصرّفت جينيا كما قيل لها، عادت إلى البيت، وقالت لسفيرينو إنها ستتعشّى مع أميليا. سرّحتْ شعرها، ثمّ خرجت، وحين خروجها، بدأت تمطر. إن لأميليا صوت واهن، فكّرت، يا للمسكينة. إن لم يكن غويدو موجوداً، فإنها ستغادر، بلا شك. وجدت أميليا في الظلّ، كانت تشعل المدفأة النفطية.

"أين غويدو؟" سألت جينيا.

نهضت أميليا، مسحت جبينها بظاهر كفّها، ثمّ أشارت إلى الستارة.

مدّ غويدو رأسه من خلف الستارة، وسلّم على جينيا، فابتسمت جينيا. وكانت تنتشر الأطباق والأطعمة المحفوظة على الطاولة بشكل غير منتظم، وفي تلك الأثناء، انعكس على السقف ضوء المدفأة الدائري.

"أشعلوا الأضواء" صاح غويدو.

"كلا، هذا الضوء أجمل" قالت أميليا. لم يكن الجوّ حاراً، ولكنهم لم يخلعوا المعاطف.

أزاحت جينيا الستارة، وتوجهت نحو المغسلة، ومن هناك، صاحت:

"ما مناسبة حفلة هذه الليلة؟".

"إنها من أجلك، إن كنت تودّين ذلك" همس غويدو، بينما كان يمسح يدَيْه "لماذا لم امتنعتِ عن المجيء؟".

"بل إنني جئتُ، ولكن حضرتك، لم تكن موجوداً" همست جينيا.

"تعاملي معي، بلا رسميات، سنُلغي كل القيود هذا المساء" قال غويدو.

"وهل حضرتك كنتَ في واجب في العسكرية؟" سألت جينيا.

"أ لم نقل بلا رسميات" قال غويدو وهو يمسّد شعرها بأصابعه. وفي تلك اللحظة، أشعلت الأضواء من خلفها، فتركت جينيا الستارة، وصارت تتطلّع إلى لوحة البطيخ.

انتظروا حتّى أصبح المكان دافئاً، ثمّ شرعوا يتعشّون. كانوا يطوفون في الغرفة بجاكيتاتهم، وأيديهم في جيوبهم، وكأنهم في البار. ملأ رودريغوس كأسه إضافة إلى ثلاثة كؤوس أخرى.

"لم يحن وقت الشرب" قالت أميليا، فأجابها رودريغوس بأن الوقت قد حان. ثمّ نقلوا الطاولة على مهل قرب الأريكة؛ لكيلا يُراق النبيذ، وتسنّى لجينيا أن تجلس جنب أميليا على الأريكة. كان على الخوان بعض القديد المحشي، فواكه، حلوى، وقنّينتان من النبيذ. تساءلت جينيا فيما إذا كانت هذه هي الحفلات التي تتحدّث عنها أميليا مع غويدو، ثمّ سألتها عن ذلك بعد أن شربوا كأس نبيذ، فجعلوا يضحكون، ويحكون عن المزح التي قاموا بها في الاستوديو. كانت جينيا تستمع إليهم، وتغبطهم، وبدا لها أنها وُلدت في وقت متأخّر، وأنها حمقاء للغاية.

كانت تدرك أن المزاح هو الطريقة الفضلى للتعامل مع الرسّامين؛ لأنهم يعيشون حياة مختلفة عن حياة الآخرين، وفي الحقيقة، فإن رودريغوس الذي لا يرسم كان إما يلوك بصمت، أو يقول رأيه مازحاً. وكان يتطلّع بمكر إلى جينيا دون أن تنتبه هي لذلك، فكانت تكنّ له البغض، وهي ترى غويدو يستمتع بوقته مع أميليا.

"هذا ليس عدلاً" قالت جينيا متباكية "يجب أن تحكي لي هذه الأشياء؛ لأني لم أكن موجودة".

"ولكنك حاضرة هذا المساء" قالت أميليا "فاستمتعي، إذنْ".

عندها تملّكت جينيا رغبة جامحة في البقاء وحدها مع غويدو، لكنها تعلم جيداً بأن دافع شجاعتها هذه هو وجود أميليا جنبها، وإلا لكانت قد هربت.

"لم أتعلّم - بعد - أن أكون هادئة" تردّد في نفسها "يجب أن أسيطر على عواطفي". أشعل الآخرون سجائرهم، وأعطوها واحدة، كانت جينيا لا ترغب في التدخين، لكن غويدو جلس جنبها، وأشعلها لها، ثمّ قال لها

ألا تستنشق الدخان، بينما كان الآخران يتشاجران على ركن الأريكة. عندئذٍ نهضت جينيا، أبعدت يد غويدو، واجتازت الاستوديو دون أن تتفوّه بكلمة، أزاحت الستارة، ووقفت في الظلام، بينما كان حديثهم يصل مسامعها كأنه طنين.

"غويدو"

همست دون أن تلتفت، ثمّ ارتمت على وجهها فوق السرير.

-١٠-

خرج الأربعة سوياً دون أن ينبسوا ببنت شفة، وقام غويدو ورودريغوس باصطحابهما حتّى محطّة الترام. وضع غويدو القبّعة، وبدا كأنه شخص آخر، لكنه كان يأخذ يدها بين يدَيْه، ويقول لها:

"عزيزتي جينيا الصغيرة".

وبينما كانوا يتمشّون، بدا لها أن الرصيف ينخسف بها، فلفّت أميليا ذراعها حولها، وسارتا سوياً. وجعلوا يتحدّثون عن الدرّاجات الهوائية، بينما كانوا ينتظرون الترام، ودنا غويدو منها، وقال لها بصوت خفيض:

"الويل لك إن أنت غيّرت رأيك، وإلا فلن أرسمك أبداً".

ابتسمت جينيا، وأمسكت بيده. ولمّا صعدتا في الترام، كانت جينيا تتطلّع إلى ظهر السائق دون أن تتفوه بشيء.

"اذهبي إلى النوم حال وصولك البيت" قالت لها أميليا "إنه ليس سوى النبيذ".

"لستُ ثملة" قالت جينيا.

"لا تقولي هذا، أ تودين أن أصحبك؟".

"اتركيني، وشأني" أجابتها جينيا.

وجعلت أميليا تحدّثها عما جرى في المرّات السابقة، لكن جينيا كانت تُنصت إلى ضجيج الترام. ولمّا وجدت نفسها وحيدة في البيت، شعرت أنها بحال أفضل؛ إذ لا عيون تتطلّع إليها. جلست على السرير، وحدّقت في الأرض طويلاً، ثمّ عمدت إلى ملابسها، وخلعتها، تمدّدت تحت الأغطية، وأطفأت النور.

استيقظت متأخّرة في اليوم التالي، وبينما كانت ترتدي ملابسها، شعرت كما لو أنها مريضة. ثمّ خطر في ذهنها أن غويدو كان قد صحا منذ ثلاث ساعات، نظرت لنفسها في المرآة، وتبسّمت، ثمّ قبّلت نفسها، وخرجت قبل عودة سفيرينو. أدهشها أنها تسير كالمعتاد، وأنها جائعة، وكانت تفكّر بشيء واحد فقط: من الآن فصاعدا، يجب أن تلتقي بغويدو وحدها. لكن غويدو قال لها أن تأتي إلى الاستوديو فقط، ولم يكلّمها عن مواعيد في الخارج. يجب أن أُظهر له الاهتمام، فكّرت جينيا، وإلا فالويل لي. فجأة، وإذا بها تشعر كأن الصيف قد عاد من جديد، وعادت معه الرغبة في الخروج والضحك وإقامة الحفلات. ما حصل يبدو لها أعجوبة، وكانت تعتريها رغبة في الضحك حين تفكر أنها - تحت جنح الظلام - قد تكون مثل أميليا، وقد يكون ذلك بالنسبة لغويدو أيضاً. يبدو أنني أُعجبه، يُعجبه حديثي، نظراتي، وكل شيء فيّ، أُعجبه كصديقة، إنه يكنّ لي الودّ بلا شك، فكّرت جينيا، لم يصدّق أن عمري سبعة عشر عاماً، كان يقبّلني على عيني، أنا امرأة بحق.

أصبح العمل طوال اليوم فاتناً، بينما هي تفكّر بالاستوديو، وتنتظر حلول المساء. أنا أكثر من كوني موديل بالنسبة له - تقول في نفسها - لقد أصبحنا أصدقاء. كانت أميليا تُثير شفقتها، فهي لا تفهم معنى الجمال

في لوحات غويدو. ولكنْ؛ حينما مرّت لاصطحابها في الساعة الثانية بعد الظهر، كانت جينيا ترغب في سؤالها عن شيء ما، ولكنها لا تدري كيف تفعل ذلك، ولم تكن تملك الشجاعة لتسأل غويدو.

"أ رأيت أحدهما؟" سألتها. فرفعت أميليا كتفها.

"لقد شعرتُ بالدوار البارحة حينما أطفأتُ النور، وأحسستُ بأنني أصرخ، أسمعتني أصرخ؟".

كانت أميليا تُنصت إليها بجدّ.

"أنا لم أطفئ النور" قالت بهدوء "كل ما أدركته أنك اختفيت، وبدا كأن غويدو يذبحك. أرجو أن تكونا قد استمتعتما بوقتكما".

كشّرت جينيا، بينما كانت تنظر أمامها، ثمّ أكملتا سيرهما على الأقدام حتّى المحطة التالية.

"أ تحبّين رودريغوس؟" سألتها جينيا. تنهّدت أميليا، ثمّ قالت لها

"لا تخشي، الشقر لا يُثيرون اهتمامي، ربمّا أفضل الشقراوات أكثر".

عندئذ تبسّمت جينيا دون أن تقول شيئاً، كانت سعيدة أنها تسير إلى جانب أميليا دون خلافات. افترقتا تحت الأروقة، وبقيت جينيا تنظر إليها من الزاوية، وهي تتسائل فيما إذا كانت ذاهبة لتعمل كموديل لدى تلك الرسّامة. عادت في الساعة السابعة مساء إلى الاسديو، صعدت الطوابق الخمسة على مهل؛ لكي لا يصبح وجهها أحمر. وقالت في نفسها إن لم يكن غويدو موجوداً، فليس الذنب ذنبه، لكنها وجدت الباب مفتوحاً. سمع غويدو خطواتها، وجاء للقائها في الممرّ، فغمرت السعادة جينيا. كان

بودّها أن تتحدّث إليه، وأن تقول له أشياء كثيرة، لكن غويدو أوصد الباب، واحتضنها. كان النور يتخلّل الزجاج، فدفنت جينيا وجهها في صدره، وشعرت بدفء بشرته عبر القميص. جلسا على الأريكة، فبكت جينيا دون أن تنطق بكلمة. كانت تبكي، وتفكّر، ليت أن غويدو يبكي أيضاً، وكانت تشعر بحسرة في قلبها، تذيب كل جسدها، وبدا لها أنها سيُغمى عليها. فجأة أحسّت أن ليس هناك ما تتّكئ عليه، فأدركت أن غويدو قد نهض، وفتحت عينَيْها، وجدته واقفاً، يتطلّع إليها بفضول. كفّت عن البكاء، وقد بدا لها أنها تبكي أمام جموع من الناس.

"كنتُ أبكي؛ لأنني سعيدة" قالت بصوت هادئ.

"إن كان الأمر كذلك، فلا بأس" قال غويدو "ولكنْ؛ في المرّة القادمة، أخبريني بذلك بسرعة".

ودّت جينيا في تلك النصف ساعة أن تسأل غويدو عن أشياء كثيرة، عن أميليا وعنه، عن لوحاته، وعمّا كانوا يفعلون في الأماسي، وإن كان يحبها أم لا، إلا إنها لم تكن تملك الشجاعة لفعل ذلك، وكل ما حصلت عليه هو التواري خلف الستارة، وكان يبدو لها في الضوء أن الجميع ينظرون إليها. هناك، وبينما كانا يقبّلان بعضهما، قالت له جينيا إنه قد آلمها البارحة حتّى صرخت، فبدأ غويدو يعاملها بلطف، ثمّ شجّعها، وداعبها كثيراً، وكان يهمس في أذنها:

"لن تشعري بالألم، سترين" ثمّ يسألها بين الحين والآخر "أ تشعرين بالألم؟".

وبينما كانا مستلقيَيْن في ذلك الدفء، قال لها أشياء كثيرة، وقال إنه يهتم لأمرها كثيراً. فسحبت جينيا يده في الظلام، وقبّلتها. الآن وقد

أدركت كم كان غويدو طيباً، تشجّعت أكثر وقالت له، بينما كانت تسند رأسها إلى كتفه، إنها ترغب في رؤيته وحده؛ لأنها تشعر بالراحة معه فقط دون الآخرين.

"إن رودريغوس يأتي للنوم هنا ليلاً" قال غويدو "لعلك تريدينه أن ينام فوق السطوح؟ ثمّ إنني أعمل هنا، أ تعرفين؟"

لكن جينيا قالت له إن ساعة واحدة تكفيها، بل لحظة واحدة، وأنها هي - أيضا - تعمل، ولكنْ؛ بوسعها أن تأتي لوقت قصير كل مساء، ولكنها تودّ أن تكون معه هو فقط.

"أ سيبقى رودريغوس هنا حتّى حينما تنهي العسكرية؟" سألته. "أرغب برؤيتك، وأنت ترسم، ولكنْ؛ دون أن يشاركني أحد في ذلك".

ثمّ قالت له إنها ستجلس أمامه عارية، بشرط أن يكونا وحدهما. كانا مستلقيَيْن تحت الظلام، ولم تشعر جينيا أن الليل قد حل. وفي ذلك المساء، ذهب سفيرينو المسكين إلى العمل ببطن خاوية، على أنها لم تكن المرّة الأولى، ولم يشتك من ذلك قطّ.

لم تغادر جينيا الاستوديو إلا حينما عاد رودريغوس. وقبل تسريحه بأيام من الخدمة العسكرية، عمد غويدو في الأماسي إلى تجهيز قماش اللوحات، وإعدادها، وتصليح الحامل الخشبي، وترتيب الأشياء الأخرى، وكان لا يخرج من الاستوديو مطلقاً. وبدا مقرراً أن رودريغوس سيبقى للعيش معه، رغم أن كل ما كان يجيده هو خلق الفوضى، وبدء حوارات حينما يكون غويدو على عجلة من أمره. لو كان بمقدور جينيا مساعدة غويدو، لكانت سعيدة بتنظيف الاستوديو له، وترتيب تلك الفوضى، ولكنها حين تجد رودريغوس تدرك استحالة ذلك، فعادت تخرج مع أميليا. ذهبتا

إلى السينما؛ لأن كلاً منهما كانت تخبّئ شيئاً ما، وليس بوسعهنّ قضاء المساء في تبادل الحديث، وكان واضحاً أن أميليا تودّ معرفة ما تخبّئ جينيا؛ لأنها صارت تسخر من الشقر. على أن جينيا كانت تكنّ لها الودّ، وليس بمقدورها إخفاء عواطفها عنها، فحدّثتها بكل شيء، بينما كانتا تعودان إلى البيت. ثمّ سألت أميليا فيما إذا كانت الأمورَ تسير على ما يرام مع الرسّامة، فأظهرت أميليا دهشتها من السؤال، وطلبت منها أن تنسى الموضوع.

"عذراً، يا أميليا، لكنك تعرفين جيداً أني لم أعمل - قطّ - كموديل، أنا آسفة؛ لأنك فقدت العمل".

"كلا، يا جينيا، بل إنك عثرت على الحبّ هذه الأيام، ولا يعنيك أمر أحد. ولكنْ؛ خيراً ما تصنعين، على أني قد أكون حذرة، لو كنت مكانك".

"لماذا؟" سألت جينيا.

"ما رأي سفيرينو بالأمر؟ أ يروق له نسيبه؟" قالت أميليا ضاحكة.

"ولماذا يجب أن أكون حذرة؟" سألتها جينيا.

"أ تخطفين مني رسّامي، وتسألينني عن السبب أيضاً؟"

فشعرت جينيا بعصرة في القلب، وكانت تمشي، وهي تشعر بأميليا تحدّق بها.

"هل عملت كموديل لغويدو؟" سألتها جينيا. فاحتضنتها أميليا، وقالت لها:

"كنتُ أمزح فقط". وبعد قليل من الصمت، أضافت: "أ ليس من

الأفضل أن نخرج للتنزّه نحن فقط؟ فنحن فتيات، ونعرف جيداً أنه لا يجدر بنا أن نُتلف أعصابنا من أجل شباب غير مهذّبين، ولا يقدّرون الفتاة حقّ قدرها، وأول مَن تقع عليها أعينهم يحاولون الإيقاع بها".

"ولكنْ؛ هل مارست الجنس مع رودريغوس؟" سألت جينيا.

فرفعت أميليا كتفها، ثمّ قالت: "ولكنْ؛ أخبريني، هل غويدو حذر معك؟".

"لا أعرف" قالت جينيا. فأخذت بذقنها، ثمّ أوقفتها:

"انظري إلي" قالت أميليا.

كانتا تحت ظلّ بوابة، لم تبد جينيا أيّ مقاومة؛ لأنها ظنت أن الأمر يتعلّق بغويدو، فسحبتها أميليا، وطبعت على فمها قبلة سريعة.

-١١-

عاودتا السير، وقد اعتلت وجه جينيا ابتسامة فزع تحت وقع أنظار أميليا.

"امسحي أحمر الشفاه" قالت لها أميليا بهدوء.

جعلت جينيا تنظر لنفسها في المرآة دون أن تتوقّف حتّى بلغت عمود المصباح الآخر، وكانت لا تقوى على إبعاد وجهها عن المرآة، وبينما كانت تحدّق في عينَيْها، صلّحت من تسريحتها.

"أ تذكرين إن أنا شربتُ هذا المساء أم لا؟" قالت أميليا.

ولمّا اجتازتا عمود المصباح، أبعدت جينيا المرآة عن وجهها، وبقيت تمشي دون أن تُجيب عن السؤال. كان صدى خطواتهما على الرصيف يتردّد في الفضاء، وحينما وصلتا ركن الشارع أبطأت أميليا في سيرها.

"من هنا" قالت لها جينيا.

انعطفتا سوياً، ولما وصلتا أمام البوابة، قالت أميليا:

"إلى اللقاء".

"إلى اللقاء" أجابتها جينيا، وأكملت طريقها وحدها.

وفي اليوم التالي، حال دخولها الاستوديو، أشعل غويدو النور، وقد

كان الضباب في الخارج كثيفا جداً حتّى بدا عبر النافذة الكبيرة، وكأنه داخل الغرفة.

"لماذا لا توقد المدفأة" سألته.

"بل إنها موقدة" قال غويدو الذي كان يرتدي جاكيته هذه المرّة. "لا تخشي، سنشعل الموقد هذا الشتاء".

دارت جينيا في الغرفة، ثمّ رفعت قطعة من الورق، كانت مسمّرة في الحائط، فوجدت موقداً صغيراً مليئاً بالحطام والكُتُب.

"كم هو جميل! وهل الموديل ستكون بالقرب من الموقد؟" سألت.

"إذا كان بوسعها البقاء عارية، فلم لا؟!" ردّ غويدو.

ثمّ سحبا حقيبة من تحت السرير خلف الستارة، وكانت بداخلها ملابس غويدو.

"هل عملت معك عارضة ما؟" سألته جينيا، "دعني أرى حافظة التخطيطات". سحبها غويدو من ذراعها، ثمّ قال لها:

"لديك معلومات كثيرة عن الرسّاميين. قولي لي - إذنْ – أ تعرفين أحدهم؟".

فوضعت جينيا إصبعها على شفتَيْه مازحة، ثمّ صارعته محاولة تحرير نفسها.

"دعني أرى حافظة التخطيطات. أنت وأميليا تقولان إن فتيات كثيرات كنّ يتردّدن على الاستوديو".

"هذا أمر طبيعي" قال غويدو "فهذا عملي". ثمّ قبّلها؛ لكي تكف عن الصراع معه.

"مَن تعرفين، إذنْ؟".

"لا أحد" ردّت. ثمّ عانقته، وقالت له "أريد أن معرفتك أنت فقط، وألا يأتي أحد إلى هنا".

"ولكنْ؛ سنشعر بالضجر" قال غويدو.

أرادت جينيا ذلك المساء أن تكنس الاستوديو، لكنها لم تعثر على مكنسة، فقامت بترتيب السرير خلف الستارة، والذي كان قذراً كجحر.

"أ تنام هنا؟" سألته.

قال غويدو إنه يفضّل رؤية النافذة، لذلك فهو ينام على الأريكة.

"إذنْ؛ لا حاجة لترتيب السرير" قالت جينيا. وفي اليوم التالي، قدمت إلى الاستوديو، وفي حقيبتها علبة، كانت فيها ربطة عنق لغويدو. أخذها غويدو، وجرّبها مازحاً فوق القميص الرمادي المائل للأخضر.

"ستليق بك الملابس المدنية أكثر" قالت جينيا.

عندئذ قصدا السرير المبعثر خلف الستارة، وتعانقا، ولمّا كان الجوّ بارداً، فقد الحتفا بالأغطية. قال لها غويدو إنه جاء دوره؛ ليقدم لها هدية ما، فكشّرت جينيا، وطلبت منه مكنسة للاستوديو. كانت تلك الأيام التي يلتقون بها لأوقات قصيرة من أجمل الأيام، ولكنْ؛ لم يكن لديهما متّسع من الوقت للحديث، وذلك بسبب مجيء رودريغوس المفاجئ، وكانت جينيا لا تودّ أن يراها عارية القدَمَيْن. وفي إحدى المساءات الأخيرة، قال لها غويدو إن عليه ايفاء الدَّيْن، فاتفقا أن يخرجا بعد العشاء.

"لنذهب إلى السينما" قال غويدو.

"ولماذا؟ لنخرج للتمشّي فقط، لمن الجميل أن نقضي الوقت معاً".

"لكن البرد شديد" قال غويدو.

"بمقدورنا الذهاب إلى البار، أو إلى صالة رقص".

"لا أحب الرقص" أجاب غويدو.

التقيا في المساء، وجعلا يتمشّيان، كانت جينيا تشعر بالإثارة؛ لأنها تمشي جنب شاب برتبة رقيب، ولكنه كان غويدو، قالت في نفسها، إنه هو. لفّ غويدو ذراعه حولها، فكانت تبدو كطفلة تحت إباطه. وكان على غويدو أن يحيّي الضباط باستمرار، فتحوّلت إلى الجانب الآخر، وتعلّقت هي بذراعه. هكذا كانا يسيران، وكان الشارع يبدو لها مختلفاً. ليتنا نلتقي بأميليا، تفكّر جينيا بينما تحدّث غويدو عن السيدة بيتشا جاهدة ألا تضحك. كان غويدو يمزح، ويقول:

"ثلاثة أيام فقط، ولن أحيي بعد هؤلاء القردة. انظري أي وجوه هي وجوههم".

"أميليا - أيضاً - تحب الوقوف والضحك في وجوه المارّة" قالت جينيا "وأحياناً تُبالغ في الأمر".

"أراك تعرفينها جيداً" قال غويدو.

"إنها صديقتي، ولكنْ؛ ماذا عنك أنت؟".

عندئذ جعل غويدو يحكي لها عن السنة التي استأجر فيها الاستوديو وعن أصدقائه الطلاب الذين كانوا يأتون لزيارته، وكيف أن أحدهم صار راهباً. كانت أميليا - حينها - لا تعمل كموديل، ولكنها تحبّ المتعة، وكانوا

يأتون في الصباح والمساء يُمزحون، ويحتسون النبيذ، بينما هو يحاول العمل. ولكنه لا يذكر كيف كان لقاؤه الأول مع أميليا، ثمّ تفرّق الجمع بعد أن أصبح أحدهم جندياً، وانشغل آخر في الدراسة، وآخر تزوج، وهكذا انتهى زمن المتعة.

"أ يؤسفك ذلك؟" سألته جينيا، وهي تحدّق فيه.

"بل إن الراهب هو أكثرنا أسفاً، وبين الحين والآخر يكتب لي، ويسألني إن كنتُ لا أزال أزاول الرسم، وإن كنتُ التقيتُ أحدهم".

"وهل بوسع الرهبان أن يكتبوا الرسائل؟" سألت جينيا.

"أ تظنينهم في السجن؟!" قال لها غويدو "كان هو الوحيد بينهم الذي تُعجبه لوحاتي. ليتك ترينه، إنه رجل عظيم البنية، وقوي مثلي، وله عينا فتاة، وكان حذقاً للغاية، من المؤسف أن يصبح راهباً".

"أنت لن تترهبن، أ ليس كذلك، يا غويدو؟!".

"لا تقلقي، هذا لن يحدث".

"ألا تُعجب رودريغوس لوحاتك؟ إن له وجهاً كوجه راهب".

لكن غويدو دافع عن رودريغوس، وقال لها إنه رسّام بارع، وإنه يفكّر طويلا قبل أن يبادر برسم شيء ما، ولا يقوم بشيء عبثاً، وكل ما ينقص عمله هو الألوان.

"في بلده الكثير من الألوان" قال غويدو "وقد أُتخم منها منذ صغره، والآن يرغب بالرسم، بلا ألوان، ولكنْ؛ يا لبراعته".

"أ ستسمح لي بالنظر إليك حين ترسم بالألوان؟" سألته جينيا، وقد شدّت على ذراعه.

"لأتخلص أولاً من هذا الزي العسكري، وإذا كنتُ قادراً على الرسم، فلم لا. في السابق، كنتُ أرسم كثيراً، كنتُ أرسم لوحة كل أسبوع، تلك الحياة كانت تُثيرني، أما الآن؛ فقد انقضى الصيف الجميل". قال غويدو.

"وأنا، ألا يعنيك من أمري شيء؟" سألت جينيا.

عندها احتضنها غويدو، وقال:

"أوتظنين نفسك صيفاً؟! عليّ أن أُغرم بك أولاً؛ لأصبح مُلهَماً، ولكنْ؛ عندها سأضيّع الوقت الكثير. اعلمي أن الرجل يبدع - فقط - إذا ما كان لديه أصدقاء يُحسنون فَهْمه".

"أولم تعشق من قبل؟" قالت جينيا دون أن تنظر إليه.

"أعشق مَن؟ أنتنّ النسوة؟! ليس لديّ وقت لذلك".

ولما اشتدّ بهما التعب من المشي توجّها إلى البار، وجعلا يمارسان دور العشّاق، أشعل غويدو سيجارة، وأنصت لما كانت تقوله جينيا، بينما كان يتطلّع إلى الخارجين من البار والداخلين إليه. ولإرضائها، فقد قام برسم بروفيلها بقلم على رخام الطاولة. وفي لحظة ما بقيا في البار وحدهما تماماً، قالت له جينيا:

"أ تعرف، أنا سعيدة أنك لم تعشق قطّ".

"إذا كان هذا يفرحكِ، فأنا سعيد بذلك" ردّ غويدو.

وغمرهما الحزن في نهاية الأمسية حين قال لها غويدو إنه سيعود - بعد تسريحه - من الجيش إلى مدينته؛ لكي يزور أمه. علّلت جينيا نفسها أنْ جعلتْه يحدّثها عن أبوَيْه وعملهما وعن بيته وطفولته. عرفت أن له أختاً، اسمها لويزا، ولكنها حزنت لمّا عرفت أن غويدو كان فلاحاً.

"كنتُ أسير حافياً في طفولتي" اعترف لها ضاحكاً. حينها أدركت جينيا سبب قوّة يدَيْه وصوته الجهوري، وما كانت تصدّق أن بوسع فلاح أن يصبح رسّاماً. ولكن الغريب في الأمر أن غويدو كان يفخر بأصوله، ولمّا قالت له جينيا:

"ولكنك الآن هنا، في المدينة"

قال لها إن الرسم الحقيقي إنما يكون في الريف.

"ولكنك الآن هنا" كرّرت جينيا، عندها قال لها غويدو:

"أشعر بالراحة - فقط - حينما أكون على قمّة تل".

منذ ذلك الحين وجينيا تُكثر التفكير بلويزا، تغبطها؛ لأنها أخت غويدو، وتحاول أن تتخيّل الحوارات التي تدور بينهما أيام الصبا. الآن أدركت لم أميليا لا تفكّر به، ولو لم يكن رسّاماً، لكان رفيقاً عادياً، وليس صديقاً. ثمّ جعلت تتخيّله كجندي بين أولئك الصبية الذين يمرّون في شهر آذار، وهم يلفّون منديلاً حول رقابهم، ويغنّون. ولكنه الآن هنا - تقول في نفسها - وقد أنهى تحصيله الدراسي، و لنا لون الشعر ذاته. مَنْ يدري إن كانت لويزا شقراء هي الأخرى. حالما عادت جينيا إلى البيت، في تلك الليلة، دخلت الغرفة، وأقفلتْها بالمفتاح، ثمّ تعرّت، ووقفت أمام المرآة باضطراب، وجعلت تقارن نفسها بلون بشرة رقبة غويدو. لم يعد شيء يُؤلمها الآن، وبدا لها رائعاً أن ليست هناك أية آثار على جسدها. ثمّ تمثّلت نفسها، وهي تجلس عارية أمام غويدو، جلستْ على الكرسي مثل أميليا يوم جلستْ في استوديو باربيتا. مَن يدري كم من الفتيات قد رأى غويدو؟! لكن الوحيدة التي لم يرها جيداً - بعد - كانت هي، وقد تسارعت دقّات قلبها بمجرد التفكير بالأمر. كم كان رائعاً أن تصبح فجاة مثل أميليا، سمراء فارعة القوام،

ولا مبالية. ولكنْ؛ لا يجدر بها أن تُبرز جسدها هكذا أمام غويدو، يجب أن يتزوّجا أولاً. ولكن جينيا كانت تعلم أنها لن تتزوّجه حتماً، رغم الودّ الذي كانت تُكنّه له، وقد أدركت ذلك منذ الليلة الأولى التي منحتْه فيها نفسها. وكان غويدو يبالغ في طيبته؛ إذ لا يزال متوقفاً عن العمل، من أجل أن يقضي الوقت معها وراء الستارة. كانت ستستمرّ بلقائه فقط، إذا ما عملت كموديل له، وإلا فإن غويدو قد يجد - يوماً ما - موديلاً أخرى. شعرت جينيا بالبرد أمام المرآة، فعمدت إلى وضع الجاكيت على جسدها العاري، فشعرت بالقشعريرة. هكذا سأكون إذا ما أصبحتُ موديلاً، تقول في نفسها، وتغبط أميليا التي كانت لا تشعر بالخجل.

-١٢-

في لقائها الأخير بغويدو، عشية رحيله، أحسّت جينيا فجأة أن ممارسة الحب بالطريقة التي يفضّلها هو كان ممتعاً للغاية، وقد تملّكتْها الدهشة حتّى إن غويدو أزاح الستارة؛ ليرى وجهها، لكنها أمسكت بيده، ومنعته عن ذلك. غادرت جينيا لمّا جاء رودريغوس، وتركتهما يتحاوران. أدركت حينها كيف هو شعور غير المتزوّجين الذين ليس بوسعهم قضاء الوقت سوياً ليل نهار. وبينما كانت تنزل السلّم والدهشة تعتلي وجهها، شعرت أنها تغيّرت تماماً، وأن الجميع سيُدرك ذلك. لهذا السبب - تماماً - حُرّم ممارسة الحب - قالت في نفسها - لهذا السبب تماماً. ثمّ تساءلت فيما إذا كانت أميليا أو روزا قد شعرتا بالشيء ذاته. كانت ترى انعكاس صورتها في واجهات المحلات، وبدا لها أنها تسير ثملة، وكانت تشعر أنها مختلفة عن تلك الصورة التي تخطف أمامها كظلّ. أدركت - الآن - لمَ تبدو عيونِ كل الممثّلات مثقلة بالتعب، ولكنْ؛ ليس هذا ما يسبّب الحمل، فالممثّلات ليس لديهنّ أطفال. حالما خرج سفيرينو من البيت، أقفلت جينيا الباب، وتعرّت أمام المرآة، فوجدت جسدها، كما هو تماماً، وبدا لها ذلك مستحيلاً، ولكنها كانت تشعر بجلدها ينفصل عن الجسد، وكانت لا تزال تعتريها القشعريرة. على أنها لم تتغيّر قطّ، كانت شاحبة، وبيضاء كالمعتاد. لو أن غويدو كان هنا، لرغب بي - فكّرتْ - ولتركتُه يتأمّل جسدي بعض الوقت، وكنتُ سأقول له إنني أصبحتُ امرأة بحقّ.

أتى يوم الأحد، وقد أثقلها مرروه بدون غويدو. جاءت أميليا لزيارتها، وكانت جينيا تشعر بالسعادة؛ لأنها لم تعد تُخيفها، ولمّا كانت مشغولة بالتفكير بغويدو، ما عادت تأخذ أميليا على محمل الجدّ. كانت تدعها تثرثر، بينما هي تفكّر بسرّها، وكان يبدو لها أن أميليا المسكينة تشعر بالوحدة أكثر منها. حتّى أميليا لا تعرف أين تقضي الوقت، وكان عصر ذلك اليوم قصيراً وبارداً، وقد أثقلتْه رطوبة الضباب الذي يجعلكَ تفقد الرغبة حتّى في الذهاب إلى الملعب لمشاهدة المباريات. طلبت منها أميليا أن تصنع لها القهوة، وكانت ترغب بالبقاء في البيت مُستلقية على الأريكة؛ لتجاذب أطراف الحديث، لكن جينيا وضعت القبّعة على رأسها، وقالت لها:

"هيا، لنخرج. أودّ الذهاب فوق التلال".

كانت أميليا كسولة ذلك النهار، فسمحت لجينيا باقتيادها، وإن لم يكن ذلك من طبعها. استقلّتا الترام؛ لكي تعجّلا بالوصول، دون أي سبب لذلك. كانت جينيا هي التي تُدير الحديث، تقودها، وتختار الشوارع، كما لو كان لديها هدف معين. تساقط المطر، لمّا بدأتا بصعود التل، فصارت أميليا تتذمّر، ولا تودّ الصعود.

"إنه ضباب يتساقط، ليس إلا" قالت جينيا "ولن يضرّنا في شيء".

كانتا - حينئذ - تحت الأشجار، وكان الشارع الواسع فارغاً من المارّة، وكأنهما في مكانٍ ناءٍ، ولا يصل مسامعهما سوى هدير الماء في الأخاديد، وضجيج عربات الترام من خلفهما. بدأتا تستنشقان هواء رطباً، وفضلاً عن برودته، فقد كان مشبعاً برائحة أوراق الأشجار المتعفنة. استعادت أميليا مزاجها شيئاً فشيئاً، وكانتا تُهرولان على الإسفلت، وقد شبكتا أذرعهما،

وتقولان إن لا المجانين ولا العشّاق يصعدون التلال في جوّ كهذا. لحقت بهما في تلك الأثناء سيارة صغيرة، ولمّا تجاوزتهما، خفّفت من سرعتها.

"لو كانت لدينا هذه السيارة!" قالت أميليا.

برزت ذراع من نافذة السيارة، ولوّحت لهما:

"أ تودّان أن أوصلكما؟" قال رجل بوجه يصطنع البراءة، لمّا وصلتا قربه.

"أ نركب، يا أميليا؟" همست جينيا ضاحكة.

"حسبي أن هذا الرجل سيصحبنا إلى بيت الشيطان، ثمّ سيتركنا في مكان ما" قالت أميليا.

مضتا قُدُماً، بينما كان الرجل يتبعهما بسرعة بطيئة، ويُسمعهما بعض الحماقات، ويضرب على كلاكسون السيارة.

"سأركب معه" قالت أميليا "عذراً، يا جينيا، ولكنْ أظن أن ذلك أفضل من أن نُتلف حذاءينا".

"ألا تصعد الشقراء الصغيرة أيضاً؟" قال الغريب مترجّلاً من السيارة، وكان رجلاً أربعينياً نحيف الجسم. استقلّتا السيارة، وكانت أميليا في الوسط، بينما حُصرت جينيا جنب الباب. جلس الرجل النحيف خلف المقود، ورمى ذراعه على كتف أميليا. ما إن رأت جينيا تلك الذراع الهزيلة الواثقة قرب أذنها حتّى فكّرت: إذا لمسني، فسأعضه. انطلقت السيارة وبدا وجه الرجل - وكانت على صدغه ندبة قبيحة - قد ركّز انتباهه في الطريق. أسندت جينيا خدّها على النافذة، وخطر في ذهنها أنه من الجميل أن تقضي هذه الأيام السبعة في ترحال دائم حتّى عودة غويد. لكن رحلتها

تلك انتهت بسرعة، خفّفت السيارة من سرعتها، ثمّ توقفت في ساحة أعلى التلّ. بدا المكان خالياً من تلك الأشجار الخضراء الجميلة، وليس هناك سوى فراغ، يشغله الضباب وأسلاك التلغراف، وكان سفح التل يبدو كأنه سفح جبل قاحل.

"أ تودّان النزول هنا؟" قال الرجل ببراءته المصطنعة.

عندها قالت جينيا "اذهبا أنتما إلى البار، إن شئتُما، أما أنا؛ فسأعود إلى البيت سيراً".

"أيتها الغبية" همست أميليا، بينما كانتا تنزلان "ألا تفهمين أن هذا سيدفع لنا المال؟". لكن جينيا استدارت، وصاحت:

"شكراً على كل شيء، أوصل صديقتي إلى بيتها، لو سمحت".

وعندما وصلت إلى الشارع، أنصتت للحظات في صمت المخيم في الضباب؛ لترى فيما إذا كان الرجل قد أدار محرّك السيارة، ثمّ ضحكت في سرّها، وتابعت السير. آه يا غويدو، لعلّك ستغفر لي، فكّرت بينما كانت تتطلّع إلى السفح، وتستنشق البرد وروائح الريف. قد يكون غويدو - أيضاً - في الهواء الطلق الآن فوق تلال مدينته، أو لعلّه في البيت، قرب نار الموقد، يدخّن سيجارة، يتدفأ بها، كما يفعل في الاستوديو. ثمّ وقفت للحظة، وتراءى لها ذلك الركن المنعزل خلف الستارة بدفئه وظلامه، كما لو كانت هناك. آه يا غويدو، ارجع، كانت تقول، وقد شدّت قبضتها في جيبها. وصلت إلى بيتها بسرعة، كان شعرها مبللاً، وجواربها تنفث الماء، وقد رافقها التعب طوال الطريق. خلعت حذاءها، وتمدّدت فوق السرير الدافئ، ثمّ جعلت تتخيّل الحديث مع غويدو. كانت تفكّر بتلك السيارة الجميلة، تستمتع، وهي تتصور أن أميليا كانت تعرف ذلك الرجل مسبقاً.

عندما عاد سفيرينو، أخبرته بأنها ضجرت من العمل في محلّ الخياطة.

"ابحثي عن عمل آخر، إذنْ" قال لها بسكينة "ولكنْ؛ لا تتركيني بلا وجبة طعام. حاولي أن تجدي عملاً بتوقيت مناسب. كانت أمي تقول - دائماً - إن من الأفضل لك البقاء في البيت، لقلّة ما تكسبين من عملك".

نهضت جينيا من الأريكة، وقالت "لم نذهب إلى المقبرة لزيارة أمي هذا العام".

"أما أنا؛ فقد ذهبتُ" قال سفيرينو "وأنت تعرفين ذلك جيداً، فلا داعي للكذب". ولكن جينيا قالت ذلك - فقط - لتُغيّر الموضوع، فلولا ما تكسب من عملها، لما كان بوسعها حتّى شراء الملابس، ولا شراء القفّازات لغسل الأطباق، والحفاظ على يدَيْها، ثمّ العطر والقبّعة ومواد التجميل وهدايا غويدو، ما كان بوسعها فعل ذلك كله، لولا العمل، ولكانت مجرد عاملة مثل روزا. كل ما كان ينقصها هو الوقت فقط، فهي بحاجة لعمل، تنتهي منه عند منتصف النهار. من ثمّ؛ إن العمل له جوانب إيجابية، ماذا ستفعل كل هذه الأيام بدون غويدو، لو أنها بقيت في البيت، أو ذهبت للتجوال طوال الوقت، مُنهكة نفسها في التفكير؟

عادت في اليوم التالي إلى العمل في محل الخياطة، ولمّا انقضى النهار، أقفلت راكضة إلى البيت، وجهّزت وجبة عشاء جيدة لسفيرينو، وقرّرت أن تعامله أفضل معاملة في هذه الأيام، فبعد ذلك، ستتركه فعلاً بلا وجبات طعام. ولكنها لم تر أميليا قي تلك الأيام، وكادت جينيا أن تخرج في بعض الأماسي، ولكنْ؛ تذكّرت أنها أخذت عهداً على نفسها ألا تفعل ذلك، وكانت تأمل أن تأتي أميليا لزيارتها. وذات مرّة، جاءت روزا لزيارتها، وكانت تودّ أن تصنع لنفسها فستاناً، فعرضت على جينيا النموذج، ولكن

جينيا أحارت جواباً، فجعلتا تتكلّمان عن بينو، ولم تقل روزا إنها غيّرت عشيقها. كانت تتذمّر، وتقول إنها تشعر بالضجر:

"ما عساي أقول؟! إذا ما تزوّجت الفتاة، فقد انتهى أمرها!".

أدركت جينيا أن التفكير بغويدو يحرمها النوم، وأحيانا تغضب؛ لأنه لا يفهم أن عليه العودة. مَن يدري إذا ما كان سيعود يوم الاثنَيْن - تقول في نفسها - ربمّا لن يعود. كانت تحقد على لويزا فقط؛ لأنها أخته، وبوسعها أن تراه كل اليوم. اعتراها الهَمّ، وهي تفكّر بالذهاب إلى الاستوديو؛ لتسأل رودريغوس فيما إذا كان غويدو يفي بالعهد، ولكنها ذهبت إلى البار، ووجدت أميليا.

"كيف قضيتِ يوم الأحد؟" سألتْها "هل أوصلكِ إلى البيت؟".

"بالتأكيد" أجابت أميليا، ثمّ سألتْها "وأنتِ، لماذا تركتِنا؟".

"وهل شعر بالإهانة؟" سألت جينيا.

"ما هذا الذي تقولين؟!" قالت أميليا، وهي تحدّق بها "قال عنك فقط: ظريفة هذه الصغيرة. ولكنْ؛ لماذا هربت؟".

احمرّ وجه جينيا، ثمّ قالت "كان مُضحكاً بوجهه ذاك".

"يا لكِ من حمقاء!" قالت أميليا.

"أ رأيتِ رودريغوس؟" سألت جينيا.

"لقد غادر للتوّ" أجابت أميليا.

عادتا إلى البيت سوياً، فقالت لها أميليا:

"سآتي لزيارتكِ هذا المساء". ولم تتّفقا على الخروج في ذلك المساء.

انتهت جينيا من غسل الأطباق، وجلست على طرف الأريكة؛ حيث كانت أميليا مستلقية. بقيتا غارقتَيْن في الصمت لبعض الوقت، ثمّ همست أميليا بصوتها الأجشّ:

"ظريفة هذه الصغيرة".

هزّت جينيا رأسها، وأدارت وجهها إلى الجانب الآخر. مدت أميليا ذراعها، ومسّدت شعرها.

"اتركيني، وشأني" قالت جينيا.

أسندت أميليا رأسها على يدَيْها:

"أنا مغرمة بك، يا جينيا" قالت بصوت أجش. التفتت إليها جينيا. "ولكنْ؛ ليس بوسعي تقبيلكِ، فأنا مصابة بمرض الزهري".

-١٣-

"أ تعرفين ما هو هذا المرض؟" أومأت جينيا أنها تعرفه.

"أما أنا؛ فما كنتُ أعرف ما هو" قالت أميليا.

"ولكنْ؛ مَن قال لك إنك مريضة بالزهري؟" سألت جينيا.

"ألا تسمعين كيف هو صوتي؟!" قالت أميليا.

"ربّما بسبب التدخين" أجابت جينيا.

"أنا - أيضاً - كنتُ أظن ذلك" قالت أميليا "ولكن الرجل الذي التقينا به يوم الأحد كان طبيباً، هاك انظري" قالت أميليا، ثمّ عمدت إلى فتح قميصها، وكشفت عن أحد ثديَيْها.

قالت جينيا "أنا لا أظن ذلك".

رفعت أميليا عينَيْها، وما يزال ثديها بين أصابعها، ونظرت إلى جينيا

"قبّليني إذا" قالت بهدوء "قبّليني حيث الالتهاب".

بقيا لحظات، تحدّق إحداهما في الأخرى، ثمّ أغمضت جينيا عينَيْها، وانحنت على الثدي.

"آه، لا" قالت أميليا "لقد قبّلتُكَ أنا قبلاً".

أدركت جينيا أنها كانت تتصبّب عَرَقاً، تبسّمت مثل حمقاء، واحمرّ وجهها تماماً. تطلّعت إليها أميليا دون أن تتكلم. ثمّ قالت

"أ رأيتِ كم أنتِ حمقاء، ها أنت - الآن - تكنّين لي الودّ بعد أن عشقت غويدو، ولم يعد يعنيكِ من أمري شيء".

وزرّت قميصها بيدها الهزيلة. "قولي الحقيقة، لا يعنيكِ من أمري شيء، أ ليس كذلك؟".

أحارت جينيا جواباً؛ لأنها هي نفسها لم تفهم ما أقدمت على فعله. ولكنها كات سعيدة أن أميليا تُعاملها بسوء؛ لأنها - الآن - تُدرك معنى الجلوس عارية كموديل، وتفهم حوارات أميليا. أفسحت المجال لأميليا؛ كي تُنفّس عن غيظها بالكلام، وكانت تشعر بالغثيان طوال الوقت، تماماً كما كانت تشعر حين تغتسل في صغرها، وتجلس قرب المدفأة؛ لترتدي ملابسها. ولكنْ؛ لما قالت أميليا إن المرض يُكتَشَف بفحص الدم، أصاب جينيا الفزع.

"وكيف ذلك؟" سألتها.

كانت أميليا أقل إحباطاً حينما تتكلم ممّا هي عليه في صمتها. قالت لها إنهم يسحبون بالحقنة قليلاً من الدم الأسود من الذراع. قالت لها إنهم يتركون الشخص عارياً في البرد لأكثر من نصف ساعة، وكان الطبيب دائم الغضب، وكان يهدّدها بأن يدخلها المستشفى.

"لا يستطيع فعل ذلك" قالت جينيا.

"أنا لا أزال صغيرة" أجابت أميليا "وبوسعه إيداعي السجن، إن أراد ذلك. أنت لا تعرفين ماذا يعنيه مرض الزهري".

"وكيف أصابكِ المرض؟" سألت جينيا.

نظرت إليها أميليا نظرة جانبية "إن المرض ينتقل عن طريق ممارسة الجنس" قالت لها.

"إذنْ؛ يجب أن يكون أحد الشخصين مصاباً بالمرض" ردّت جينيا.

"يبدو هكذا" قالت أميليا.

عندها تذكّرت جينيا غويدو، فشحب وجهها، ولم تقوَ على قول شيء.

كانت أميليا جالسة تحدّق في الفراغ، وقد وضعت يدها فوق ثديها، وكان يأسها جلياً حتّى بدت كأنها شخصا آخر. تكزّ على أسنانها بين الحين والآخر حتّى تظهر اللثّة، ولم يُفلح حتّى عطرها الفوّاح في تهدئتها.

"لو أنكِ رأيتِ رودريغوس" قالت أميليا بصوتها الأجشّ. "لقد قال إن مرض الزهري يسبّب العمى، ويموت الإنسان، وقد تيبّس دمه فوق الجلد. لقد أصبح شاحبا تماماً". ثمّ مدّت بوزها، كما لو أنها تبصق "هذا ما يحدث دائماً" قالت "فهو لم يُصب بشيء".

سألتها جينيا على عجل، إن كانت متأكّدة من ذلك.

"أجل، اطمئني، لقد قاموا بتحليل دمه. إن الصعاليك لديهم مناعة قوية. هل أنت خائفة على غويدو؟".

حاولت جينيا أن تتبسّم، وخفقت رموشها باضطراب. صمتت أميليا لحظة، بدت لجينيا طويلة جداً، ثمّ قالت:

"إن غويدو لم يلمسني قطّ، كوني مطمئنّة".

عندها شعرت جينيا بسعادة كبيرة، تغمرها حتّى إنها طوقت كتف أميليا بذراعها، عبست أميليا، وقالت لها:

"ألا تخشين من لمسي؟".

"كلا، فنحن لا نمارس الحب" تمتمت جينيا.

هدأ خفقان قلب جينيا شيئاً فشيئاً، بينما كانت أميليا تتكلم عن غويدو، وقالت لها إنه لم يقبّلها قطّ، فليس بوسعها ممارسة الحب مع الجميع، ثمّ إن غويدو لا يثيرها البتة، ولكنها لا تفهم كيف أعجب جينيا، وكلاهما أشقر. شعرت جينيا بالدفء، يغدقها، وكان سعيدة بذلك.

"ولكنْ؛ إن لم يكن رودريغوس مصاباً بالزهري، فهذا يعني أنك أنت - أيضاً - غير مصابة به، ربّما أخطؤوا التشخيص" قالت جينيا.

عندئذ نظرت إليها أميليا، وقد طأطأت رأسها

"أوتظنين أنه هو مَن نقله إليّ؟".

"لا أدري" قالت جينيا.

"إنه خوّاف مثل طفل" قالت وقد خرج الكلام من بين أسنانها "هو لم ينقله لي، ولكنه عقاب الربّ. إن مَن نقلت لي المرض هي أسوأ حالاً مني الآن، وهي لا تدري بذلك، وسأتركها حتّى تُصاب بالعمى".

"أ هي امرأة؟" سألتها جينيا بصوت خفيض.

"لقد مرّ أكثر من شهرَيْن، وهذا الأثر هو ما تركته لي" قالت أميليا ذلك، وأشارت لموضعه تحت القميص. عمدت جينيا على مواساتها طوال المساء، ولكنها كانت تتجنّب لمسها، وفكّرت أنها لم تفعل معها شيئاً

سوى شبك الأذرع، ثمّ إن أميليا نفسها قالت لها يجب أن يكون الشخص مجروحاً حتّى تنتقل العدوى عن طريق الدم. وكانت جينيا واثقة أن تلك الأشياء حدثت لها بسبب الخطايا التي ارتكبتْها، لكنها لم تجرؤ على قول ذلك، ثمّ توقّفت عن التفكير في الأمر؛ إذ لو كان الأمر كذلك؛ لأصيب الجميع بالمرض. وبينما كانتا تهبطان السلّم، قالت لها إنه لا يجدر بها الانتقام من تلك المرأة، فليس الذنب ذنبها، إن كانت لا تدري بمرضها. لكن أميليا توقّفت، وقاطعتها قائلة:

"أ تريدين أن أرسل لها باقة ورد، إذنْ!؟".

اتّفقتا أن تلتقيا في البار في اليوم التالي، ووقفت جينيا تتأمّلها ودقات قلبها تتسارع، بينما كانت تبتعد.

نهضت جينيا مبكّراً في اليوم التالي، وتوجّهت راكضة إلى الاستوديو والمصابيح لا تزال تُنير الطرقات. لم تصعد مباشرة، فرودريغوس كان لا يزال نائماً، بقيت تتمشّى في البرد حتّى صارت تحلم بسريرها الدافئ. ثمّ صعدت، ترتجف، وطرقت الباب. وجدت رودريغوس ببجامة النوم، وكان ينظر إليها بعينَيْن ناعستَيْن، ثمّ جلس على طرف السرير. كانت الاستوديو شديد الإضاءة ومليئاً بالقاذورات، بدأت جينيا تُتمتم بالكلام، بينما رودريغوس يحكّ كعب قَدَمه، وسألته إن كان قد ذهب إلى الطبيب. جعلا يتكلّمان عن أميليا بأسوإ العبارات، وكان صوت جينيا يرتجف، وهي تدير وجهها من جانب إلى آخر؛ لكي تتجنّب النظر إلى تلك القَدَمَيْن القبيحَتَيْن. ثمّ قال رودريغوس:

"أشعر بالبرد، سأعود إلى السرير"، وسحب الأغطية فوقه. انفجر رودريغوس ضاحكاً حينما قالت له جينيا بصوت راجف إن أميليا قبّلتْها، ثمّ أسند رأسه على يده:

"إذنْ؛ فنحن رفيقا درب" قال "قبلة فقط؟".

"أجل" أجابت جينيا "أ هناك خطر ما؟".

"وكيف كانت القبلة؟"

لم تفهم جينيا ما عنى، فشرح لها رودريغوس الأمر، عندها أقسمت جينيا أنها لم تكن سوى قبلة تافهة.

"سخافات" قال "اطمئنّي".

كانت جينيا واقفة أمام الستارة، وكان على الطاولة قدح وسخ وقشور برتقال.

"متى سيعود غويدو؟" سألته.

"الاثنَيْن" ردّ رودريغوس "أ ترين هذا؟ إنه طبيعة ميتة" وأشار إلى القدح. تبسّمت جينيا، وتنحّت قليلاً.

"اجلسي، يا جينيا، اجلسي هنا على السرير".

"يجب عليّ الذهاب إلى العمل" قالت جينيا.

لكن رودريغوس صار يتململ؛ لأنها أيقظته في وقت مبكر دون حتّى أن تُحييه بتحية الصباح.

"دعينا نحتفل بتخطّينا مرحلة الخطر" قال رودريغوس.

عندها جلست جينيا على طرف السرير، أسفل الستارة.

"أنا قلقة على أميليا" قالت "يا للمسكينة! إنها تشعر بالإحباط. أ حقاً قد يُصاب المريض بالعمى؟!".

"كلا كلا" ردّ رودريغوس "ستُشفى حتماً. سيحقنونها ببعض الحقن، وسيزيلون بعض الجلد، وسترين أنها ستمارس الحب مجدداً مع ذلك الطبيب، صدّقيني".

حاولت جينيا ألا تبتسم، واصل رودريغوس:

"أرافقكما إلى التلال؟".

ثمّ جعل يمسّد يدها، بينما كان يتكلّم، كما لو كان يمسّد ظهر قطٍّ.

"كم هما باردتان يدَاك" قال "تعالي؛ لأُدفئهما لك".

سكنت جينيا حتّى قبّلها على رقبتها، فقالت له

"كفّ عن ذلك، من فضلكَ"، ونهضت واقفة، وقد احمرّ وجهها، ثمّ ولّت هاربة.

-١٤-

وفي المساء، جاء رودريغوس - أيضاً - إلى البار، وجلس إلى الطاولة المجاورة لطاولتهما، جنب جينيا.

"كيف هو صوتك، يا أميليا؟" قال رودريغوس بين الجدّ والهزل. في تلك اللحظة تماماً كانت جينيا تقنع أميليا بأنها ستُشفى، ثمّ لاذت بالصمت. نظر كل منها ورودريغوس للآخر، في حين لاذت أميليا بالصمت أيضاً، وكادت تسأل عن الوقت، وإذا برودريغوس يقول بهزل:

"أحسنتِ صنعاً، صرتِ - الآن - تُراودين القاصرات أيضاً".

لم تفهم أميليا ما ألمح إليه، تسنّى لجينيا في الأثناء أن تُغمض عينَيْها. ولما فتحتُهما، صكّ سمعها صوت أميليا مهدّداً:

"ماذا روت لك هذه الحمقاء؟".

لكن رودريغوس كان طيباً؛ إذ قال لها:

"لقد أيقظتني مبكّرا هذا الصباح، أتت تسأل عنك".

"يبدو أن لديها فائضاً من الوقت" قالت أميليا.

حاولت جينيا في تلك الأيام أن تُحسن التصرف حتّى يعود غويدو، وذهبت مرّة أخرى لزيارة رودريغوس، ليس في الاستوديو؛ حيث يذكّرها

بالهلع الذي أصابها هناك، ثمّ إن رودريغوس كان نوّاماً، فكانت تلتقيه في المطعم الذي يتردّد عليه للأكل، والذي كان يأكل فيه غويدو أيضاً. مرّت من هناك، وعرجت؛ لتراه، وتمزح معه، ثمّ لتسأله فيما إذا كانت هناك أخبار جديدة. كانت تمازحه مثلما تفعل أميليا، وقد فهم رودريغوس أنه لا يجدر به أن يمدّ يده مرّة أخرى. اتّفقا أن تأتي جينيا إلى الاستوديو؛ لتنظّف المكان، من أجل غويدو.

"نحن المصابون بالزهري لا نخشى شيئاً " قال رودريغوس.

أما أميليا؛ فما كانت تأتي للاستوديو، وقد بقيت جينيا برفقتها طوال العصر، ثمّ اصطحبتْها إلى الطبيب الذي كان يحقنها بالدواء. وقفتا بتردّد عند باب الطبيب، حتّى قالت لها أميليا:

"لا تصعدي معي، أخشى أن يصيبكِ مرض ما" وأضافت بعد أن صعدت السلّم "وداعاً، يا جينيا".

جينيا التي كانت تشعر بالبهجة، غمرها حزن شديد، وعادت إلى البيت محبطة، ولم يسعفها حتّى التفكير أن غويدو كان سيعود غداً. مرّ يوم الأحد كحلم، وكانت قد قضت العصر كله في تنظيف الاستوديو، وترتيبه، ولم يسبّب لها رودريغوس أية مضايقات، بل إنه ساعدها في رمي أكوام الورق وبقايا قشور الفواكه. ثمّ جمعا الكُتُب التي كانت في الموقد، ووضعاها في صندوق على شكل مكتبة. ولمّا كانا يغسلان فرش الرسم، فقد اعترت جينيا لحظة ساحرة: كانت رائحة التربنتين الفوّاحة تذكّرها بغويدو، وكأنه بقربها، ثمّ ابتسمت؛ لأن رودريغوس لم يفهم سبب نشوتها.

"كم هو محظوظ هذا اللعين!"

قال رودريغوس حينما خرجت جينيا من وراء الستارة بعد أن انتهت من ترتيب الركن

"ستكون مفاجأة له".

ثمّ جلسا على الأريكة، يحتسيان الشاي، ويقلّبان تخطيطات غويدو التي عثرا عليها تحت الكُتُب، ولكنْ؛ شعرت جينيا بخيبة أمل؛ لأنها لم تر سوى مناظر طبيعية ورأس عجوز فقط.

"اصبري قليلاً" قال رودريغوس "أنا أعرف عمّا تبحثين".

وبعد لحظات، بدأت تظهر تخطيطات لبعض النساء، وكانت تبدو كرسومات الأزياء. تطلّعت إليها جينيا باستمتاع؛ لأنها كانت موضة ما قبل عامَيْن. ثمّ ظهرت تخطيطات نساء عاريات، ثمّ رجال عُراة، عندها التفتت جينيا إلى رودريغوس الذي كان متّكئاً على الحائط؛ ليتطلّع هو أيضاً. ظهرت - أخيراً - امرأة ترتدي الملابس، وكانت فتاة بوجه عريض وملامح ريفية.

"مَن قد تكون؟" سألت جينيا.

"لعلها أخته" أجاب رودريغوس.

"أ هي لويزا؟".

"لا أدري" قال رودريغوس.

تأمّلت جينيا عينَيْها الكبيرتَيْن وفمها الصغير، بدا لها أنها لا تشبه أحداً.

"إنها حسناء" قالت "وليست عيناها ناعستَيْن، كما اعتدتُم أن تفعلوا، أنتم الرسّامون".

"لعلك تشيرين إلى غويدو" قال رودريغوس "فأنا لا شأن لي بذلك".

كانت السعادة تغمر جينيا، ولو علم رودريغوس ذلك؛ لأدرك أن بوسعه

تقبيلها، ولكنه كان حزيناً ومنطوياً فوق الأريكة، ولولا النور الذي يتخلّل زجاج النوافذ، لخالت جينيا أن غويدو مَنْ كان جنبها، ولمدّ يده، ومسّد شعرها. أغمضت عينَيْها؛ لتتخيّل المشهد.

"يا للروعة!" قالت بصوت عال. ثمّ سألت رودريغوس مجدّداً، إذا ما كان يعرف التوقيت الدقيق لوصول غويدو في الغد، لكنه قال لها إنه ربمّا يعود على الدرّاجة الهوائية.

وجعلا يتحدّثان عن بلدة غويدو، ورغم أن رودريغوس لم يرها قطّ، إلا أنه وصفها ساخراً على أنها بلدة حظائر خنازير ودجاج، وأن شوارعها مليئة بالحفر في هذا الفصل من السنة، لذلك ربمّا لن يستطيع غويدو مغادرتها. فعبست جينيا بوجهه، وطلبت منه أن يكفّ عن قول هذا. وبينما كانا يخرجان، وعدها رودريغوس أنه لن يرمي رماد السجائر على الأرضية، ثمّ قال:

"سأنام الليلة على أريكة خارج البيت، أ يروق لك هذا؟".

خرجا من البوابة يضحكان، ثمّ استقلّت جينيا الترام، وهي تفكر بأميليا وبتخطيطات النساء، وتقارن نفسها بهنّ. بدا لها أنهما صعدتا البارحة فوق التلال، بينما ها هو اليوم غويدو يعود. استيقظت ولهانة في اليوم التالي، وجاء منتصف النهار كلمح البصر. وكانت قد اتّفقت مع رودريغوس أن يلتقيا في البار، إذا ما عاد غويدو. مرّت بالبار، وهي تسير على أطراف أصابعها، نظرت من الواجهة الزجاجية إلى الطاولة، فشاهدت غويدو يرتدي معطفاً مشمّعاً، وبدا لها نحيفاً، وكان يسند قدمه إلى الحاجز. وما كانت لتتعرّف عليه لولا وجود رودريغوس. ولمّا كان المعطف مفتوحاً، فقد رأت ربطة عنق رمادية، ولكنها لم تكن تلك التي أهدتها إياه. كان غويدو

يبدو رجلاً بتلك الملابس المدنية، وكان ضاحك الوجه، وهو يتحدث إلى رودريغوس. ليت أميليا كانت هنا، فكّرت جينيا؛ لتظاهرتُ أني آتية للقائها. ولكي تتشجّع على الدخول، فقد قالت لنفسها إنها نظّفت الاستوديو من أجله. كانت لا تزال على عتبة البار، حينما رآها غويدو، فتوجّهت نحوه، كما لو أنها جاءت مصادفة. لم يسحرها غويدو من قبل كتلك اللحظة، فمدّ يده بين زحام الناس، وصافحها، بينما كان يتحدث مع رودريغوس، ولم يبادلها الكلام. كان غويدو على عجلة من أمره؛ لأن أحدهم كان بانتظاره. ابتسم لها بحنو، وسألها:

"أ أنت بخير؟". ثمّ صرخ من الباب مغادراً "إلى اللقاء".

وغادرت جينيا متوجّهة إلى محطة الترام، تعتلي وجهها ابتسامة حمقاء، وفي تلك اللحظة، أمسكت يدٌ ما بذراعها، وهمس بها صوت، كان صوت غويدو:

"جينيا الصغيرة!"

وقفا، وكانت عينا جينيا مغرورقَتَيْن بالدموع.

"إلى أين تذهبين؟" سألها غويدو.

" إلى البيت" أجابت.

"أوتغادرين دون أن تسلّمي عليّ؟" قال لها، ثمّ سحبها من ذراعها، وتطلّع إليها بعينَيْه الساحرَتَيْن.

"أوه، يا غويدو" قالت جينيا "ما كنتُ أنتظر أحداً سواك".

عادا يتمشّيان على الرصيف، وقد خيم الصمت، حتّى قال غويدو:

"اذهبي إلى البيت الآن، ولكنْ؛ ارجو ألا تبكي حينما تأتين للقائي".

"أ نلتقي هذا المساء؟" سألت.

"أجل، هذا المساء" أجاب.

اغتسلت جينيا ذلك المساء خصيصاً من أجل غويدو، وكانت تشعر بساقَيْها ترتجفان، إذا ما ساورها التفكير بلقائهما. صعدت السلّم، والخوف يفترسها، تنصّتت قليلاً لمّا وصلت عند الباب، كان المصباح مضاء، ولكنْ؛ لم يصل مسامعها أي صوت. سعلت جينيا، كما فعلت ذات مرّة، ولكنها لم تسمع شيئاً، عندها قرّرت طرق الباب.

-١٥-

فتح لها غويدو الباب باسماً، فسمعت صوت فتاة من طرف الاستوديو تسأل عمّن جاء. مدّ غويدو يده، وطلب من جينيا الدخول، فرأت تحت الضوء الخافت فتاة، ترتدي معطفها قرب الستارة، ولا تضع القبّعة. رمقت الفتاة جينيا بنظرة من الأعلى إلى الأسفل، كما لو كانت هي صاحبة المنزل.

"إنها زميلتي" قال غويدو "أقدّم لكِ جينيا" قال للأخرى.

دنت الفتاة من النافذة، كانت تشبه أميليا في خطاها، عضّت على شفتَيْها، وتطلعت إلى نفسها في الزجاج الأسود. كانت جينيا تنظر إليها تارة، وإلى غويدو تارة أخرى. "حسناً، يا جينيا" قال غويدو.

أخيراً غادرت الفتاة بعد أن رمقت جينيا بنظرة أخيرة من عند الباب، ثمّ أوصدتْه، وسمعت جينيا خطاها تنأى شيئاً فشيئاً.

"إنها موديل" قال غويدو.

قضيا المساء على الأريكة تحت نور المصباح، ولم تسعَ جينيا لإخفاء جسدها. جلبا المدفأة عند الأريكة، رغم ذلك، فقد كان الجو بارداً، فسحبت جينيا الأغطية فوقها. وبينما كان غويدو يحتضنها، فكرت جينيا أن هذا هو العشق الحقيقي. وما إن نهض غويدو، وكان عارياً تماماً، لجلب النبيذ حتّى عاد يتقافز من شدّة البرد، ثمّ وضعا الأقداح على المدفأة. قال لها إنه خبير بالنبيذ، لكن جينيا كانت تفضّل رائحة جسده الدافئ.

كان شعر صدره الأشقر يدغدغ خدّها، وحينما ينكشف من تحت الغطاء، كانت تقارنه بشعرها الأشقر، وكان ذلك يُثير في نفسها الخجل والبهجة، في آن واحد. همست في أذن غويدو أنها تخشى النظر إليه، فقال لها ألا تنظر، إذنْ. وبينما كانا متعانقَيْن تحت الغطاء، جعلا يتحدّثان عن أميليا، فقالت له جينيا إن مَن نقلت لها الداء كانت امرأة.

"أظنّها تستحقّ ذلك" قال غويدو "أ تحسب الأمر مزحة؟".

"يا لرائحة النبيذ التي تفوح منك" قالت جينيا همساً.

"إن الرائحة التي ستفوح فوق السرير أحلى بكثير" أجاب غويدو، لكن جينيا كمّمت فمه بيدها. ثمّ أطفآ النور، وساد الصمت.

كانت جينيا تحدّق في السقف، وتفكّر بأشياء كثيرة، بينما غويدو ينفث أنفاسه على جسدها. وفي البعيد، خلف زجاج النافذة، تلوح خافتة بعض المصابيح. كانت رائحة النبيذ وأنفاس غويدو الدافئة قد جعلتها تفكّر ببلدته، ثمّ فكّرت فيما إذا كان جسدها الدقيق يثير إعجابه حقاً، وإذا ما كان هو - أيضاً - يفضّل أميليا السمراء الجميلة. وقبّل غويدو كل أنحاء جسدها بصمت. ثمّ تنبّهت أنه نام، وبدا لها مدهشاً النوم متعانقَيْن هكذا، ثمّ تنحّت قليلاً، وشعرت بالبرد حتّى أصابها الضيق، وقد أحسّت بعريها ووحدتها. فبادرها الشعور بالاشمئزاز والقسوة مجدداً، كما كانت تشعر حينما تغتسل في صغرها. وتساءلت لم يمارس غويدو الحب معها، وفكّرت في الغد، ثمّ فكّرت في كل الأيام التي انتظرته فيها، فاغرورقت عيناها بالدموع، وبكت بهدوء؛ كي لا يشعر بها.

ارتديا ثيابهما في الظلام، وفي الظلام، سألته جينيا فجأة عن الموديل.

"إنها عفريتة مسكينة، أخبروها أنني عدتُ، فجاءت لزيارتي".

"أ تراها جميلة؟" سألت جينيا.

"أوما رأيتِها؟" أجاب.

"وكيف لها أن تجلس عارية في برد كهذا؟" سألته.

"أنتنّ الفتيات لا تقاسين البرد" أجاب غويدو "لقد خلقتنّ؛ لتكنّ عاريات".

"ولكنْ؛ أنا قد لا أفعل ذلك" قالت.

"ولكنكِ كنتِ عارية هذا المساء". ثمّ نظر إليها غويدو في الضوء باسماً "أ أنت راضية؟" قال لها.

جلسا جنب إلى جنب على الأريكة، أسندت جينيا رأسها على كتفه؛ لتتجنّب النظر في عينَيْه.

"أخشى أنك لا تحبّني" قالت.

صنعا الشاي، وكان غويدو جالساً يدخن، بينما هي تتجوّل في الاستوديو.

"لقد سمحتُ لك بفعل كل ما ترغبين فيه، على ما يبدو لي، وحتّى إني تركت رودريغوس خارج البيت طوال المساء".

"قد يعود بين حين وآخر، أ ليس كذلك؟" سألت.

"ليس لديه المفتاح، سأذهب لجلبه من تحت" أجاب غويدو.

وهكذا افترقا عند البوابة؛ لأن جينيا لا تريد أن ترى رودريغوس، ثمّ عادت إلى البيت، تكوّرت على المقعد في الترام دون أن تُجهد نفسها في

التفكير. هكذا بدأت حياتها الغرامية، والآن وقد رأى كل منها الآخر عارياً، تغيّر كل شيء. بدا لها الآن، وكأنهما متزوجان، وحتّى لو كانت وحدها، فيكفيها أن تفكّر بعينَيْه، وأن تتذكر كيف نظر إلها؛ لتشعر بوجوده. هذا ما يعنيه أن يكون الشخص متزوجاً. مَن يدري إن كانت أمي فعلت هذا أيضاً! ولكنْ، بدا لها مستحيلاً أن يملك أحد في الدنيا شجاعتها تلك، لا امرأة، ولا فتاة، قد تكون رأت رجلاً عارياً، كما رأت هي غويدو، لا يمكن لشيء مماثل أن يتكرّر مرَّتَيْن. ولكن جينيا لم تكن حمقاء لهذا الحد، وتدرك أن كل النساء تقول هذا. حتّى روزا، حينما أرادت أن تنتحر ذات مرّة. سوى أن روزا تمارس الحب في المروج، ولا تدرك كم هو جميل قضاء الوقت برفقة غويدو، والحديث إليه، رغم أن قضاء الوقت معه قد يكون جميلاً في المروج أيضاً، وكانت جينيا تفكّر بذلك دائماً. كانت تلعن البثلج والبرد القارس الذي لا يسمح لها بفعل شيء، وكانت تفكر، وقد انتشت من الرغبة، بالصيف القادم؛ حيث سيذهبان فوق التلال، وسيتنزّهان ليلاً أمام واجهات المحال. وقال لها غويدو ذات مرّة:

"لو أنك رأيتِني في الأرياف، فقط هناك يحلو لي الرسم، فالتلّ أجمل من كل النساء".

وكانت جينيا سعيدة، لأن غويدو لم يتخذ موديلاً، وأنه يرغب برسم لوحة في الهواء الطلق؛ حيث ستظهر التلال والسماء الصافية، وإذا ما علقت، فستبدو وكأنها شرخ في الجدار. كان يجهّز لها مذ كان في العسكرية، والآن هو يحضر لها طوال اليوم، يجهّز الورق، ويطليه بالألوان لإجراء التجارب. وذات يوم قال لجينيا:

"أنا لا أعرفك جيداً حتّى الآن؛ لأرسم لك بورتريه. يجب علينا الانتظار".

كان رودريغوس لا يتواجد في الاستوديو مطلقاً، فقد كان يخرج إلى

البار قبل العشاء، وقبل أن تأتي جينيا. في حين كان يأتي أشخاص آخرون؛ ليقضوا المساء مع غويدو - وكانت بينهم فتيات أيضاً؛ لأن جينيا وجدت ذات مرّة عقب سيجارة ملطّخاً بأحمر الشفاه - حينها قالت له إنها تخشى أن تُضايقه، وأنها تخجل من وجود الآخرين. فاقترحت على غويدو أن يترك الباب مؤارباً، إذا ما كان وحده في الاستوديو، وبه رغبة للقائها.

"إني أودّ المجيء دائماً" قالت له "ولكني أدرك أن لك حياتك الخاصة أيضاً. أودّ أن نكون وحيدَيْن حينما نلتقي، وأن لا يضايقك وجودي".

وكان ما قالته يُثير في نفسها السعادة، كما يحدث حينما يتعانقان. ولكن وفي أول مرّة وجدت فيها الباب موصداً، لم تضبط نفسها، وطرقت الباب.

وكانت أميليا تمرّ - أحياناً - لزيارتها بعد الغداء، وقد بدا على وجهها الضيق، وعلى عينَيْها الحزن. كانتا تخرجان مباشرة؛ لأن جينيا لا تمنحها الوقت للجلوس على السرير، فتذهبان لنزهتهما المعتادة. وتدخل أميليا إلى البار، وتطلب القهوة، مخلّفة بقعة من أحمر الشفاه فوق فنجان القهوة. وكانت تضع الكثير من أحمر الشفاه كيلا يبدو الشحوب على وجهها. ولمّا قالت لها جينيا إنها قد تلوّث الفناجين، أجابتها أميليا

"سينظّفونها"، ثمّ رفعت كتفها قائلة "إن العالم مليء بمرضى مثلي، الفارق الوحيد أنهم لا يعلمون بذلك".

"أظن صحتك - الآن - أفضل" قالت جينيا "لقد تحسّن صوتك".

"أ تظنين ذلك؟!".

ولم يتكلّما عن شيء آخر، رغم أن جينيا تودّ أن تسألها عن أشياء كثيرة. وحين ذكرت جينيا رودريغوس عبست أميليا، وقالت:

"دعكِ من هذَيْن الاثنَيْن".

وذات مساء، مرّت أميليا لزيارتها، وسألتها:

"أ ستذهب عند غويدو هذا المساء؟".

"لا أدري" أجابت جينيا "أظن أن عنده بعض الأصدقاء".

"وأنت تدلّلينه هكذا، وتتركينه، وشأنه؟ يا لكِ من حمقاء، ما دام وجهك يحمرّ، فلن تتغيّري أبداً".

وبينما كانتا تذهبان إلى الاستوديو، قالت جينيا إنها كانت تظنها قد تشاجرت مع رودريغوس.

"يا للحقير!" قالت أميليا "أ هو مَن قال لك ذلك؟ وأنا التي جنّبتُه المرض".

"كلا، هو يقول فقط إن مرضك كان حجّة؛ لكي تمارسي الحبّ مع الطبيب". فجعلت أميليا تضحك بغضب. ولمّا وصلتا تحت البوابة، رأت جينيا شباك الاستوديو مضاء، فشعرت بالإحباط؛ لأنها كانت تظن أن غويدو كان قد خرج.

"يبدو أنْ ليس هناك أحد" قالت جينيا.

"كلا، لنصعد" قالت أميليا عازمة على الصعود.

وجدتا غويدو ورودريغوس يشعلان النار في الموقد، دخلت أميليا أولاً، ثمّ جينيا، وهي تُجهد نفسها في الابتسام.

"ما هذه المفاجأة؟! " هتف غويدو.

-١٦-

سألت جينيا إن كان مجيئهما في وقت غير مناسب، فرمقها غويدو بنظرة، تركتها في حيرة. وكان قرب الموقد كدس من الحطب. جلست أميليا في تلك الأثناء على الأريكة، وقالت بهدوء إن الجو بارد.

"الأمر يتعلّق بحرارة الدم" تمتم رودريغوس من عند الموقد.

جعلت جينيا تفكّر بمَن سيأتي هذا المساء حتّى حدا بهما الأمر لإشعال نار الموقد، وكل هذا الحطب حتّى البارحة لم يكن موجوداً. ساد الصمت للحظات، وكانت جينيا خجلة من وقاحة أميليا. قال غويدو لريودريغوس لمّا اشتعلت النار:

"استمرّ في رمي الحطب".

فتفجّرت أميليا بالضحك كحمقاء، وارتسمت على وجه رودريغوس - أيضاً - ابتسامة بهجة. ثمّ نهض غويدو، وأطفأ الضوء، فأصبحت الغرفة كأنها في بُعد آخر، وكانت تتراقص فيها الظلال.

"ها نحن مجدداً كلنا سوية" قالت أميليا من على الأريكة "كم المقام لطيف هنا!".

"كل ما ينقصنا هو الكستناء" قال غويدو "أما النبيذ؛ فمتوفّر".

عندئذ نزعت جينيا قبّعتها، وقالت ببهجة إن هناك عجوز تبيع الكستناء المحمّصة عند ركن الشارع.

"ليذهب رودريغوس لشرائها" قالت أميليا. لكن جينيا هرولت، ونزلت السلّم، وكانت سعيدة؛ لأنهما لم يتثاقلا من وجودهما. جالت في البرد طويلاً للبحث عن الكستناء؛ لأنها لم تجد العجوز، وكانت تقول في نفسها إن أميليا ما كانت لتفعل هذا من أجل أحد. عادت، وقد أضناها التعب، وفي الغرفة المتراقصة الظلال، رأت رودريغوس متكوّراً في زاوية على الأريكة عند قَدَمَي أميليا، كما كان ذات مرّة، بينما كان غويدو واقفاً في انعكاس الضور الأحمر، يدخّن، ويتحدّث. كان النبيذ يملأ الأقداح، وهم يتحدّثون عن الرسم، وكان غويدو يصف التلّ الذي يخطّط لرسمه، ويقول إنه يريد رسمه كامرأة عارية الصدر تحت الشمس، وإنه سيجعله يتدفّق أنوثة. قاطعه رودريغوس قائلاً:

"هناك مَن أنجز هذا الرسم، غيّر المشروع، لقد أنجزوه قبلك".

عندها دارت بينهما مشادّة كلامية حول إذا ما كان قد حصل ذلك فعلاً، وكانوا يأكلون الكستناء، ويرمون القشور في الموقد، بينما ترميها أميليا على الأرض. لم تُعر جينيا اهتماماً للموضوع، واقترحت أميليا على غويدو - فجأة - أن تجلس كموديل أمامه، وبدا هو مُقتنعاً بالفكرة.

"في برد كهذا؟" قالت جينيا.

لم تلقَ جواباً من أحد، بل كانوا يناقشون على موضع المدفأة؛ لكي يوافقوا بين الضوء والدفء.

"ولكن أميليا مريضة" قالت جينيا.

"وما يعني هذا؟" هتفت أميليا "كل ما عليّ فعله هو ألا أتحرّك".

"ستكون لوحة سلوكية" قال رودريغوس "ستكون الأكثر سلوكية في العالم".

ضحكوا من ذلك، وهزؤوا بالفكرة. طلبت أميليا قدحاً من النبيذ، ولم تحتس الخمر قبل ذلك، من باب الحذر، فقالت إنه يكفي غسل القدح بالماء والصابون. قالت إنها تفعل ذلك في بيتها أيضاً، وجعلت تشرح لغويدو العلاج الذي يحقنها به الطبيب، فضحكوا من الحقن، وطمأنته قائلة إن بشرتها سليمة. فسألتها جينيا - رغبة في الانتقام - إذا ما كان ثديها ما يزال ملتهباً، فاغتاظت أميليا، وقالت إن ثديَيْها أجمل من ثديَي جينيا.

"لنرَ ذلك" قال غويدو، فنظر كل منها للآخر، وجعلا يضحكان. فتحت أميليا أزرار قميصها، وأفلتت حمالة الصدر، ثمّ أبرزت ثديَيْها رافعة إياهما بيدَيْها. أناروا المصباح، فتطلّعت جينيا باضطراب، والتقت عيناها بعينَي أميليا الخبيثتَيْن المنتصرتَيْن.

"لنر ثديَيْك، إذنْ!" قال رودريغوس.

لكن جينيا هزّت رأسها رافضة، وأخفضت عيناها تحت ناظرَي غويدو. مرّت لحظات طويلة، وغويدو لم ينبس ببنت شفة.

"هيا" أصرّ رودريغوس "لنشرب نخب ثديَيْك".

وما يزال غويدو صامتا. أدرات جينيا وجهها نحو الموقد، وسمعتهم يصفونها بالحمقاء.

ذهبت جينيا في اليوم التالي إلى العمل، وهي تعرف أن أميليا كانت في تلك الأثناء عارية أمام غويدو. تشعر - أحياناً - بالاختناق، وهي تتخيّل وجه غويدو يحدّق في أميليا، وكانت ترجو أن يكون رودريغوس حاضراً معهما. سنحت لها فرصة للخروج من محلّ الخياطة عند العصر لتسديد فاتورة ما، فتوجّهت راكضة إلى الاستوديو حتّى وصلت الباب، أنصتت قليلاً، فلم يصل إلى مسامعها شيء، عندها هبطت السلّم، وكانت أكثر

سكينة. وجدتهم عند الساعة السابعة في البار، وكان غويدو يرتدي ربطة العنق، ويتباهى بأناقته، بينما كانت أميليا تُنصت، وهي تدخّن. طلبوا منها أن تجلس، كما لو كانت طفلة، وكانوا يتحدّثون عن الزمن الجميل الذي مضى، وأميليا تروي لهم عن الرسّامين الذين عملت معهم.

"حدّثينا عنك، يا جينيا" همس رودريغوس في أذنها.

قالت له جينيا دون أن تلتفت نحوه "اتركني، وشأني".

ثمّ قطعوا بعض الطريق سوياً تحت الأروقة، فطلبت من غويدو أن تراه في المساء.

"سيكون رودريغوس موجوداً" قال لها، فنظرت إليه جينيا مستاءة. اتفقوا على اللقاء جميعاً في الخارج.

كان الثلج يتساقط في ذلك المساء، فاقترح غويدو أن يدخلوا البار؛ ليحتسوا شراباً حاراً. وبينما كانوا يحتسون الشراب، سألت جينيا كيف لأميليا أن تجلس عارية في هذا البرد.

"الموقد يدفئ المكان" قال غويدو "ثمّ إنها معتادة على ذلك".

"أما أنا؛ فقد لا أحتمل ذلك" قالت جينيا.

"ومَن طلب منك أن تحتملي؟" قال غويدو.

"آه، يا غويدو" أجابت "لماذا تعاملني بهذه الطريقة؟ كنت أقول ذلك فقط؛ لأن أميليا مريضة".

غادروا البار، وقد شبك غويدو ذراعه بذراعها. كان الثلج ينزل على أفواههم، وعلى عيونهم

"اسمعي" قال غويدو "أنا أعرف كل شيء، أعرف أنكما كنتُما تقومان ببعض الأشياء، وليس في الأمر سوء. يروق لكل الفتيات تبادل القُبل، فلا تُفسدي عليّ حياتي، إذنْ".

"أرودريغوس مَن قال لك ذلك؟" قالت جينيا.

"كلا، أدرك ذلك؛ لأن كل النساء متشابهات. وإن كنتِ تريدين الجلوس كموديل أمام رودريغوس، فتعالي غداً، إذنْ. أنا لا أسألكِ عما تفعلين طوال اليوم".

"ولكنْ؛ أنا لا أريد أن أجلس كموديل أمام رودريغوس".

افترقا تحت الأروقة، وعادت جينيا وحدها تحت الثلج، وهي تغبط العمي الذين يطلبون الصَّدَقَة، ولا يُجهدون أنفسهم في التفكير بشيء آخر.

عادت في العاشرة من صباح اليوم التالي إلى الاستوديو، وقالت لغويدو على الباب إنها تركت عملها.

"إنها جينيا" صاح غويدو، وهو يعود إلى الداخل.

كان الثلج يغطّي الأسطح، وكانت أميليا تستلقي عارية فوق الأريكة أمام الموقد المتوهّج بالنار، فتوسّلتهما أن يُوصدا الباب.

"أجئتِ لرؤيتنا؟" قال غويدو متوجّهاً نحو الحامل "ممَّ تغارين؟".

عبستْ جينيا، وجلست قرب النار دون أن تنظر لأميليا، أو أن تدنو من غويدو. جاء غويدو، ورمى المزيد من الحطب على النار، فتوهّجت حتّى اصبح من السهل التعرّي فعلاً، وبينما كان راجعاً، مرّر كفّه على فم جينيا، فأزاحت رأسها، وفي تلك اللحظة، لامست ركبة أميليا، ووجدتها ساخنة جداً. وكانت أميليا مستلقية على ظهرها، وجانبها بمواجهة دفء الموقد، ولمّا رجع غويدو إلى الحامل جنب النافذة، همست بصوتها الأجش

"أ جئتِ؛ لتريني عارية؟".

"اخرج رودريغوس؟" سألتها جينيا. صرخ غويدو من عند الشباك:

"ارفعي ساقك قليلاً".

عندها تشجّعت جينيا، ونظرت إلى أميليا بحسد، ثمّ ابتعدت عن النار لشدّة توهّجها. كان غويدو يرمقهما بنظرة سريعة بين الحين والآخر، ثمّ يعاود التركيز في اللوحة. أخيراً قال لأميليا:

"ارتدي ثيابك".

عدلت أميليا من جلستها، ثمّ وضعت الجاكيت على كتفها

"ها قد فعلتُ" قالت ضاحكة لجينيا.

دنت جينيا شيئاً فشيئاً من الحامل، رأت على اللوحة تخطيطاً بقلم الرسم لجسد أميليا، كانت خطوطا بسيطة، تتاشبك أحياناً مع بعضها. بدا كأن جسد أميليا ماء، يسيل على اللوحة

"أ يعجبك الرسم؟" قال غويدو. أ

ومأت جينيا برأسها، وهي تحاول التعرّف على أميليا، بينما كان غويدو يضحك منها. عندها قالت جينيا ودقّات قلبها تتسارع:

"ارسمني أنا أيضاً".

رفع غويدو رأسه "أ تريدين أن تجلسي كموديل أمامي؟" قال لها "أ تتعرّين؟".

نظرت جينيا ناحية أميليا، وقالت:

"أجل".

"أ سمعتِ؟ إن جينيا تريد أن تجلس عارية كموديل" قال غويدو بصوت عال.

أجابت أميليا بضحكة صاخبة، ثمّ نهضت من على الأريكة متلفّعة بجاكيتها، وتوجّهت نحو الستارة.

"انزعي ثيابك هناك، قرب الموقد، أنا سأرتدي ثيابي" قالت.

رمقت جينيا الثلج فوق الأسطح بنظرة أخيرة، وتمتمت:

"أ من الضروري أن أتعرّى؟".

"هيا" قال غويدو "فنحن نعرف بعض".

فتعرّت جينيا على مهل قرب الموقد، وقلبها ينبض بقوّة، وهي تشكر أميليا في نفسها؛ لأنها كانت ترتدي ثيابها، ولم ترها تتعرّى. أزاح غويدو الورقة عن الحامل، ووضع أخرى مكانها، بينما كانت جينيا تُلقي ملابسها قطعة بعد أخرى على الأريكة. أوقد غويدو النار من جديد

"أسرعي" قال لها "وإلا استهلكنا الكثير من الحطب".

"هيا، تشجّعي" صاحت بها أميليا من خلف الستارة.

ولمّا أصبحت جينيا عارية تماماً، تأمّلها غويدو على مهل دون أن يبتسم. أخذ بيدها، ثمّ رمى طرف الغطاء على الأرض، وقال لها:

"قفي هنا، وانظري ناحية النار، سأرسمك واقفة".

حدّقت جينيا بالنار، وهي تتساءل فيما إذا كانت أميليا قد خرجت

من خلف الستارة. ثمّ تنبّهت أن وهج النار يلسع بشرتها، ويضفي عليها لمعاناً. استرقت النظر إلى الثلج الذي يكسو الأسطح دون أن تحرّك رقبتها.

"لا تغطّي جسدك بيدَيْك، ارفعيهما، كما لو أنك تستندين إلى حاجر الشرفة" قال لها غويدو.

-١٧-

كانت جينيا تتطلّع باسمة إلى النار، حاولت أن تُنزل ذراعيها

"ابقي كما أنت" قال غويدو.

"كم أنت شاحبة!" قالت أميليا "لا تفكّري بعريكِ".

فهمت جينيا في تلك اللحظة كل شي، وقد اشتدّ غيظها؛ لأنها لا تستطيع الالتفات. أدركت أن رودريغوس كان خلف الستارة طوال الوقت، وأنه - الآن - يتطلّع إليها، وهي عارية وسط الغرفة، وقد تراءى لها أنها تسمع حتّى أنفاسه. حدّقت في النار كحمقاء، وصارت ترتجف، رغم ذلك لم تلتفت. ساد الصمت طويلاً، وكان غويدو هو الوحيد الذي يتحرّك هناك.

"أشعر بالبرد" تمتمت جينيا بصوت غير مسموع.

"تناولي الجاكيت، وارتديه" قال غويدو أخيراً.

"يا للمسكينة!" قالت أميليا.

استدارت جينيا فجأة، ورأت رودريغوس مندهشاً، فتناولت ثيابها، وغطّت جسدها. كان رودريغوس جالساً على الأريكة، وقد أسند إحدى ساقَيْه، وانحنى نحو الأمام، فتطلّع إليها، وكشّر بوجهها

"لا بأس بكِ" قال بصوته المعتاد.

وبينما كان الآخرون يضحكون منها، ويحاولون استرضاءها، ركضت جينيا حافية إلى الركن، وارتدت ملابسها بحنق. ورغم أن أحداً لم يتبعها هناك، إلا أنها كانت عجلة حتّى مرّقت تبانها، ثمّ بقيت في الظلام، وقد اعتراها الاشمئزاز من شراشف السرير المبعثرة. ساد الصمت في الاستوديو.

"جينيا" صاحت أميليا، وكانت قرب الستارة "أ تسمحين لي؟".

أمسكت جينيا الستارة، ولم تُجبها.

"اتركيها، وشأنها" صاح غويدو "ليست سوى فتاة حمقاء".

بكت جينيا بصمت، وهي تُمسك بالستارة. كانت تبكي بحرقة، كتلك المرّة حينما كان غويدو نائماً، وبدا لها أنها لم تفعل شيئا معه سوى البكاء. وكانت تكفّ عن البكاء بين حين وآخر، وتقول في نفسها: لماذا لا يغادرون؟ وكانت قد تركت حذاءها وجواربها على الأريكة. بكت طويلاً حتّى شعرت بالدوار، فجأة، وإذا بالستارة قد أُزيحت، فمدّ لها رودريغوس حذاءها. تناولتْه جينيا دون أن تتفوّه بكلمة، ولمحت عندها وجهه والاستوديو خلفه. أدركت عندها أنها ارتكبت حماقة كبيرة، وأنها كانت شديدة الفزع حتّى كفّ الآخرون - الآن - عن الضحك. ثمّ تنبّهت أن رودريغوس لا يزال واقفاً خلف الستارة، فانتابها خوف كبير أن يأتي غويدو أيضاً، وأن يعنّفها بلا رحمة. فكّرت بأن غويدو ليس سوى فلاح، ولا بد أنه سيُعاملها بقسوة. لماذا لم أضحك أنا أيضاً؟!، قالت في نفسها، بينما كانت ترتدي الجوارب والحذاء. خرجت دون أن تتطلّع إلى رودريغوس، لمحت رأس غويدو خلف الحامل، ثمّ الثلج الذي يغطّي الأسطح. نهضت أميليا من على الأريكة باسمة، تناولت جينيا جاكيتها بيد، والقبّعة بالأخرى، فتحت الباب، وولّت هاربة.

شعرت حينما كانت تسير وحدها على الثلج كأنها لا تزال عارية، وكانت الشوارع خالية، ولا تعرف أي وجهة، تتّخذ. وشعرت أنهم لا يرغبون بها في الاستوديو، وحتّى إن خروجها في تلك الساعة لم يُدهشهم. كانت تستمتع في التفكير بأن الصيف الذي منّت نفسها به لن يأتي؛ لأنها - الآن - وحيدة، ولن تلتقي أحداً، وستقضي أيامها في العمل، وهكذا ستكون السيدة بيتشه أكثر سعادة. وذات صباح، تنبّهت أن رودريغوس كان أكثرهم براءة؛ لأنه كان ينام حتّى منتصف النهار، ولا بد أنهم أيقظوه، وكان من الطبيعي أن ينظر إليها. لو أني تصرّفتُ مثل أميليا؛ لأدهشتُهم جميعاً، سوى أني كنتُ أبكي فقط. حسبها أن تتذكّر ذلك فقط حتّى تغرورق عيناها بالدموع. ولكنها لم تغضب منهم، كانت تدرك أنها تصرّفت كحمقاء، وهكذا فكّرت طوال الصباح أنها قد تقتل نفسها، أو على الأقل، أن يصيبها مرض ذات الرئة، هكذا سيشعرون بالذنب، وتأنيب الضمير. ثمّ أدركت أن الأمر لا يستحقّ الانتحار، فقد كان الذنب ذنبها؛ إذ أرادت أن تصبح امرأة، وكان سيبدو كمَن يقتل نفسه من أجل دخول محل فخم. حينما تكون الفتاة حمقاء، فالأجدر بها أن تعود إلى البيت. ما أنا إلا مسكينة عاثرة الحظّ، قالت في نفسها، بينما كانت تمشي جنب الحائط.

شعرت بالنشوة ذلك المساء، حينما قالت لها السيدة بيتشه:

"يا لحياتكنّ أنتنّ الفتيات! إن وجهك شاحب كوجه الحُبلى".

فقالت لها إنها أُصيبت بالحمّى هذا الصباح، وكانت سعيدة أن بدا على وجهها العناء. ولكنْ؛ عند رجوعها إلى البيت، صلّحت وجهها بالمكياج، وهي تنزل السلّم؛ لأنها كانت تخجل من أن يراها سفيرينو على تلك الحال. انتظرت في ذلك المساء أن تمرّ روزا أو أميليا لزيارتها، بل وحتّى رودريغوس، وكانت قد قرّرت أن تُغلق الباب بوجوههم، ولكنْ؛ لم

يأتِ أحد. رمى سفيرينو جواربه الممزّقة على الطاولة؛ ليغيظها، وسألها إذا ما كانت تريده أن يذهب إلى العمل بلا جوارب

"يا لتعاسة مَن سيتزوّجك!" قال لها "لو كانت أمي موجودة، لرأيت كيف كانت ستتصرّف معك".

تضاحكت جينيا، وقد احمرّت عيناها غضباً، وقالت إنها تفضّل الموت على الزواج. تركت الأطباق دون أن تغسلها، وجلست تنتظر أمام الباب، ثمّ جعلت تتمشّى ذهاباً وإياباً في المطبخ دون أن تقترب من النافذة؛ لكيلا ترى الثلج الأبيض الذي يكسو الأسطح. عثرت على بعض السجائر في جيب سفيرينو، وأشعلت واحدة منها، تنبّهت أن بوسعها استنشاق الدخان، فارتمت على الأريكة، وصارت تستنشقه بقوّة، كما لو كانت محمومة، وهكذا قرّرت التدخين ابتداء من اليوم التالي.

أدركت جينيا - في تلك الأيام - أن لديها فائضاً من الوقت، فما كان عليها الإسراع في إنجاز مهامها، ولمّا كانت قد اعتادت على الاستعجال في إنجازها، فقد صار ذلك مصدر حنق بالنسبة لها، وأصبح لديها مزيد من الوقت للتفكير، ولم يكن التدخين كافياً لسدّ الفراغ، وكانت ترغب أن يراها الآخرون، وهي تدخّن، ولكنْ؛ ها هي الآن وحيدة، وحتّى روزا لا تأتي لزيارتها. كان المساء يُرعبها، وحينما يخرج سفيرينو، تجلس جينيا تنتظر، وتنتظر أن يمرّ بها أحد، دون أن تجهد نفسها للخروج. وذات مرّة، وقد تعرّت؛ لتنام، شعرت بارتجافة، تعتريها، فوقفت أمام المرآة، ونظرت إلى جسدها دون خشية، رفعت ذراعَيْها فوق رأسها، ودارت حول نفسها على مهل، فتسارعت دقّات قلبها. لو أن غويدو يدخل - الآن - ما عساه يقول؟ تساءلت، وكانت تُدرك - بلا شك - أن غويدو - الآن - لا يفكر بها. لم تتوادع حتّى، تمتمت، ثمّ ركضت إلى الفراش كيلا تبكي عارية.

كانت تطوف الشوارع، وتتوقّف أحياناً حينما يتهيّأ لها أنها تشم رائحة ليالي الصيف، وترى أشجار الدلب، ألوانها وضجيجها وظلالها. كانت تفكّر بذلك وسط الوحل والثلج، وتقف عند زوايا الشوارع، والرغبة محبوسة في قلبها. لا بد سيأتي الصيف، فالفصول لا تدوم إلى الأبد، تقول في نفسها، ويبدو لها ذلك مستحيلاً، وهي - الآن - وحيدة. ما أنا إلا عجوز شمطاء، هذه هي الحقيقة، وقد انقضى كل شيء جميل. وذات مساء، بينما كانت تعود إلى البيت مسرعة، صادفت أميليا عند البوابة، وكان لقاء مفاجئاً، فلم يتبادلا التحية، ولكن جينيا توقّفت، وكانت أميليا تضع قبّعتها ذات الشبك، وتتمشّى أمام البوابة بانتظار أحد ما.

"ماذا تفعلين هنا؟" سألتها جينيا.

"أنتظر روزا" أجابت أميليا بصوتها الغليظ، ونظرتا لبعضهما. فكشّرت جينيا، وركضت نحو السلّم.

"ماذا دهاكِ؟" سألها سفيرينو، وهو يأكل "كأن كلباً ما يلاحقك؟".

وحينما بقيت جينيا وحدها شعرت بحزن شديد، ولم يكن بوسعها حتّى البكاء. كانت تطوف بالغرفة كالمجنونة، ثمّ ارتمت على الأريكة. وفي المساء ذاته، جاءت أميليا للقائها، وحينما فتحت جينيا الباب، ورأتها أمامها، لم تصدّق عينَيْها. دخلت أميليا، وكعادتها، سألتها إذا ما كان سفيرينو في البيت، ثمّ جلست على الأريكة. لم يخطر على بال جينيا أن تدخّن، ثمّ جعلتا تتحدّثان بهدوء عمّا فعلتاه في تلك الأيام. نزعت أميليا قبّعتها، ووضعت ساق على أخرى، بينما كانت جينيا متّكئة على الطاولة قرب المصباح العمودي الذي لا يُتيح لها رؤية وجه أميليا. تحدّثتا عن البرد القارس، وقالت أميليا:

"لقد شعرتُ ببرد شديد هذا الصباح".

"ألا تزالين تتعاطين العلاج؟" سألتها جينيا.

"لماذا؟ أ أبدو لك مختلفة؟" قالت أميليا.

"لا أدري" أجابت جينيا. طلبت أميليا سيجارة، وكانت علبة السجائر على الطاولة.

"أنا - أيضاً - أدخّن". قالت جينيا.

وبينما كانت أميليا تُشعل السيجارة، سألتها:

"ألا تزالين غاضبة؟".

احمرّ وجه جينيا، ولم تحر جواباً. حدّقت أميليا بسيجارتها، وقالت:

"كنتُ أتوقّع ذلك".

"أ كنتِ في الأستوديو؟" تمتمت جينيا.

"لا يهمّ" ردّت أميليا، ونهضت واقفة "أ ترغبين في الذهاب إلى السينما؟".

وقبل أن تُنهيا سيجارتَيْهما، قالت أميليا ضاحكة:

"لقد أثرت أعجاب رودريغوس، وسألني فيما إذا كنتُ أرغب فيك. لقد أصبح غويدو - الآن - يغار منه عليك".

وبينما كانت جينيا تُجهد نفسها في صنع ابتسامة، أضافت أميليا:

"أنا سعيدة؛ لأني سأشفى هذا الربيع. قال الطبيب بأنه اكتشف المرض

في الوقت المناسب. اسمعي، يا جينيا، يبدو أن ليس في السينما ما يستحقّ الذهاب إليها".

"لنذهب حيثما شئتِ" قالت جينيا "قوديني أنت".

من الكتاب:

فجأة دفعته جينيا بقوّة، فتحت الباب، وهربت راكضة، ولم تقف إلا عند محطة الترام. ذهبت بعد العشاء إلى السينما؛ لكي تتحاشى التفكير بعصر ذلك اليوم، ولكنها كلّما فكّرت بالأمر، أدركت أنها ستعود - حتماً - إلى الاستوديو، لذلك كانت تشعر بالقنوط؛ لأنها كانت تعرف أنها قامت بتصرّف تافه، لا يجب على امرأة بعمرها أن تقوم به. كانت تعرف أن غويدو قد شعر بالإهانة جراء تصرّفها، وأنه لن يحتضنها مجدداً. لو كان بوسعها للكمت نفسها، لأن غويدو كان يصيح خلفها، بينما هي تنزل السلّم ولم تسمع فيما إذا كان يطلب منها الرجوع. قضت المساء تحت ظلام السينما، وهي تفكر بحسرة بأن أي قرار ستتخذه الآن لن يثنيها عن العودة مرّة أخرى. أدركت أن رغبتها الجامحة في أن تراه، وتعتذر منه، وتقول له إنها تصرّفت بحماقة كانت ستجنّنها. لم ترجع جينيا في اليوم التالي، ولكنها غسلت إبطَيها، وعطّرت جسمها بالكامل. وشعرت أن الذنب ذنبها؛ لأنها أثارت فيه الرغبة، ولكنها - أحياناً - تشعر أن تصرّفها كان شجاعاً؛ لأنها فهمت - الآن - ما الذي يُثير رغبة الرجال.

تشيزَره باڤيزه: روائي وشاعر ومترجم وناقد أدبي إيطالي. ولد في العام ١٩٠٨. بعد تخرجه من كلية الآداب اشتغل باڤيزه بالتدريس لفترة قصيرة. كتب الشعر والقصة القصيرة واشتغل بترجمة الأدب الأمريكي لصالح دار النشر "إيناودي"، الذي أصبح أحد أعمدتها لاحقاً، وترجم لهم الكثير من الكتاب الأمريكيين غير المعروفين إلى الإيطالية.

اعتقل في العام ١٩٥٢ بتهمة النشاط المعادي للفاشية وقضى عاماً في المعتقل. في العام ١٩٤٦ انضم إلى الحزب الشيوعي.

بعد الحرب تفرغ تماماً للنشاط الأدبي ونشر الكثير من الروايات والمقالات الأدبية حول علاقة الأدب والمجتمع. ونال تقديراً واسعاً من جمهور النقاد والقراء الإيطاليين.

في ذروة نشاطه ونجاحه، وبعد حصوله على جائزة "ستريغا" أعرق وأرقى الجوائز الأدبية الإيطالية عن ثلاثيته الروائية "الصيف الجميل"، وجد ميتاً في غرفة فندق في مدينة تورينو مع زجاجة حبوب منومة فارغة.

المتوسط

«باڤيزه هو الكاتب الإيطالي الأهم، والأكثر عمقاً، والأشد تعقيداً في زماننا. وليس من صعاب تواجهنا إلا وحذونا حذوه»

إيتالو كالفينو

«كان باڤيزه أحد الكتاب الأساسيين الذي قرأتهم في مرحلة الشباب، وقد أثر بي بلا شك، ربما ليس من ناحية الأسلوب، ولكن من ناحية المخيلة الأدبية»

أومبرتو إكو

جينيا، فتاة ساذجة تعمل في محل خياطة، تجتاز ذات صيف فترة المراهقة وتدخل في مرحلة الشباب وصخبه وعوالمه المليئة بالمغامرات والأسرار. تتعرف على أميليا، أكبر منها سناً، وأوسع خبرة في العلاقات الاجتماعية، تعمل كـ «موديل» للرسامين. تصحب أميليا جينيا إلى عوالمها الخاصة، وهناك تقع جينيا في غرام «غويدو» الرسام الشاب. كيف تتعامل جينيا مع غرائزها وجسدها المندفع للنضوج، والمقيد بخجلها وخوفها؟ وكيف ترتب أفكارها وأحلامها وخيباتها في زوايا رأسها؟ ما هي المغامرات التي تواجهها جينيا المراهقة في رحلتها الصيفية نحو النضوج؟ كيف سينتهي الصيف الجميل والمليء بالأحداث المثيرة، وإلى أين سيأخذ بتلك الفتاة البسيطة؟

ISBN 978-88-99687-40-3

9 788899 687403

المتوسط